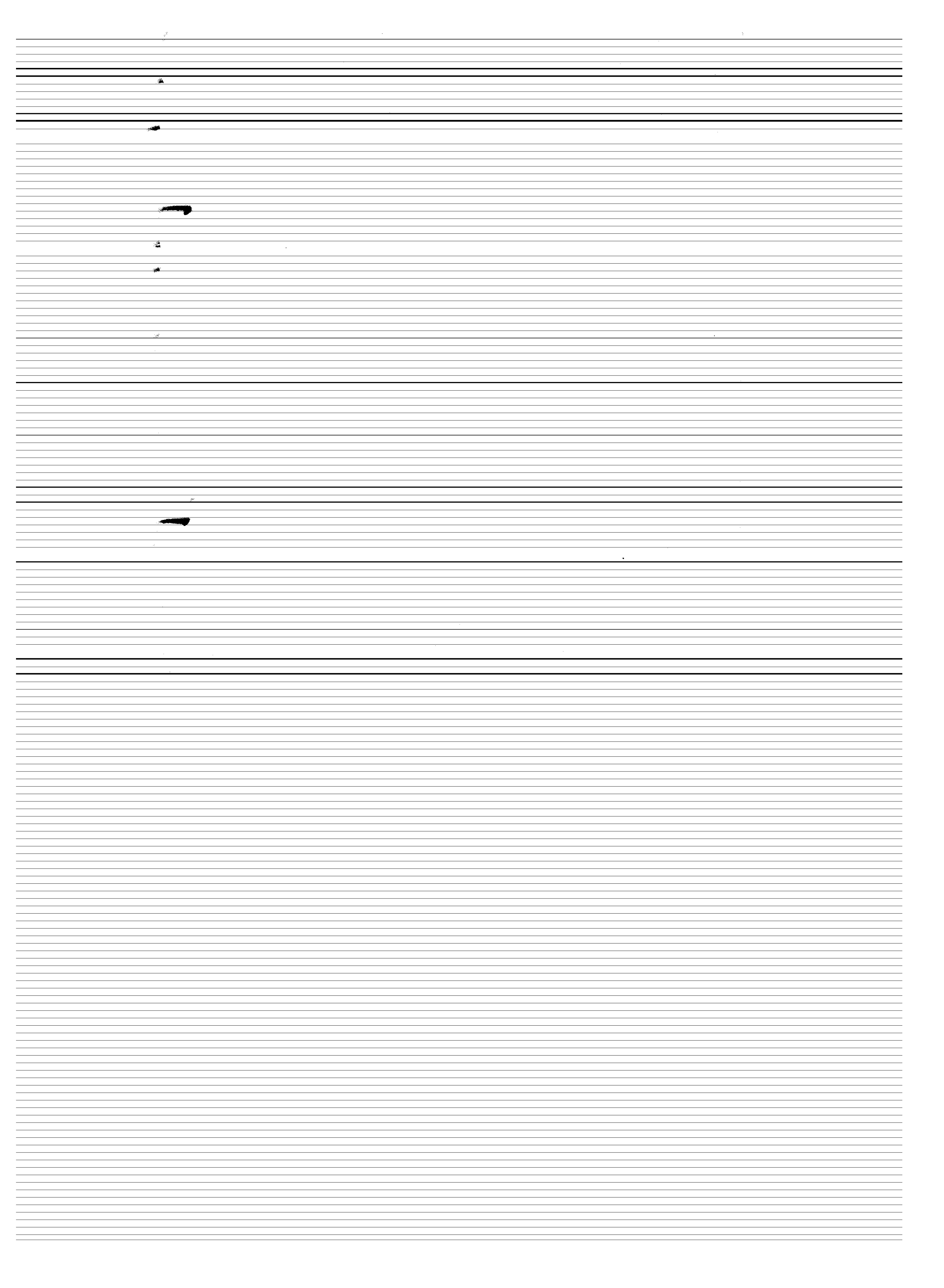
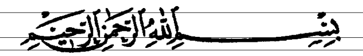
أصوات معاصرة
العدد ٣٧ ـ أغسطس ١٩٩٧

حسني سيد لبيب

كلمات حب في الدفتر

قصص قصيرة





هذه المجموعة

بقلم أ.د خليل أبو دياب

تخرج علينا المطابع العربية كل يوم بإصدارات متنوعة وعديدة خاصة فيما يتعلق بألقصة القصيرة ـ هذا الفن العربى الرائع الممتع . بيد أن قلة من تلك القصص وثلة من أولئك القاضيين هم الذين يستوقفون القارىء ليتركوا فى نفسة أثاراً مانعة ، ويخلفون فى وجدانة انطباعات مميزة ، ويرسمون فى عقلة ملامحهم الفكرية . ذلك أن هذا الفن / القصة الصغيرة مغلف بغلالة صفيقة من المراوغة تجعلة يبدو لكثير مما يتعاطونة سهلاً ميسوراً مجرداً من كل أثر للصعوبة والعنت ، فما هى إلا أن يمسك بالقلم ،ويشرع فى الكتابة حتى دون تخطيط مبدئى للحدث والفكرة والشخوص ، وماهى إلا كلمات محدودة وصحف معدودة تسرد شيئاً ما حتى تستولى فى وهمه قصة قصيرة أو أقصوصة يجد فى نفسه إلحاحا ًبالغاً على نشرها، ونزوعاً جارفاً لاطلاع الناس عليها ، أو رؤيتها ممهورة ًباسمه وهو هنا يتجاهل أمراً مهماً يتمثل فى تقنيات القصة القصيرة التى ينبغى الالتزام بها ، ويستخف بذوق القارىء ووعيه دون أن يخطرفىوهمه أن هذا الامرلن يعودإلا بالخيبة والفشل

ومن هذا ينبغى على مبدعى هذا اللـون الادبى الجميـل أن يولوه قسطاً أوفر من عنايتهم ، ويحرصـوا على تقديمـه فـى صـوره فنيـه متكاملـه ليحققـوا لانفسـهم قدراًمناسـباًمن الابداع ، فيحظوا بقـدر مناسـب مـن الشـهرة والذيـوع .
وقاصنا الاستاذ حسنى سيد لبيب ، كما يظهر به مجموعتـة القصصيه التى اطلعنـا عليهـا ، يمكـن أن يعد نموذجاً طيباً لمبدعى هذا الفن / القصة القصـيرة ، الذيـن دعـوا بعمـق ، وتمثلوه فى إبداعهم . وهذةالمجموعـه التى بـين يديـك أيهـا القـارىء العزيـز التـى تحمـل عنـوان إحـدى أقاصيصهـا " كلمات حب فى الدفتر " أبدعها ببراعه هذا القاص المتميـز الـذى ينتمـى الى جيـل السـبعينات بكـل طموحاتـة وأمالـه ومعاناتة وألامه وواقعيته ، تمثل شرائح متنوعه التقطهـا مـن واقعـه ومجتمعـه ، عـايش همومهـا وألمهـا ومعاناتهـا ومشـكلاتها، ووعى أمالها وطموحاتهـا وأحلامهـا فـاندفع يجسد ذلك كلـه عـبر أحـداث أقاصيصـه علـى ألسـنة شخوصها محـاولاً جهدهُ وضـع حلـول مناسـبه لمشكلاتهم الاجتماعية والاقتصادية والنفسية ..

وتحتوى هذة المجموعة اثنتى عشرة قصة تعالج كل قصة منها حدثاً خاصاً وتتناول مشكلة معينة ولكنها تلتقى جميعاً فى النهاية لتمثل المجتمع المصرى البسيط المتواضع الذى عاش القاص واقعاً متميزاً أحسن التقاط أحداثه وانتقاء شخوصه إحساناص ظاهراً . فعلى المستوى الاجتماعي وما يثور فيه من مشكلات أسرية نجد " اقتفاء الأثر /٢ نجد مشكلة الخلافات الاسرية التى لا يخلو منها بيت ولكنها هنا لا تراعى العشرة الطويلة وتسقطها من حسابها فى سبيل تحقيق وهم الحب من قبل الزوجة ومحاولة الزوج / الأستاذ البحث عن الأستقرار النفسى والاسرى مع أم ايناس وتقابل هذه القصة قصة الطفل والعربة الصفراء التى تصور خروج أو طرد الزوج من اليت الضيق المكون من غرفة واحدة تبحث أصرار الزوجة على بيت من غرفتين على الامل كما تلقا ئيته فى القصة قصة الثانية مشكلة فتاة الجينز ومفهومها الخاص للحديث الشخصية المغاير لمفهوم والدها وقصة ماسح الأحذية / ٥ تحاول تحقيق الذات المسحوق ولكنها بكل واقعيتها تنتهى بتكريس حفيفة التمايز الطبيعي وان كل ما يبدو ليس اكثر من تمثيل × تمثيل كما تركت الاوضاع الإقتصادية المتردية بصماتها على كثير من القصص فالصندوق / ١

تنطلق أحداثها من مشكلة السكن التى يعانى منها الشباب المقبلون على الأستقرار الأجتماعى والرا غبين فى الحصول على سكن مناسب فضلا عن الضائعات المالية التى كانت تعصف بالأسرة والتى كانت الصندوق يجد الأمل فى الخلاصة منها .وكذلك جاءت الورقة الضائعة /٤ نجد مشكلة الفقر لدى الطبعة الدنيا من طبع المجتمع ومشكلة الجمعيات الأستهلاكيه التعاونية .. وكذلك حكاية الموظف أنور وعجز الراتب عن التحقيق التوازن بين الواردات / الدخل والنفقات فى قصه الورقة النقدية / ٣ التى تعلج مشكلات هذه الطبعة الفقيرة فى شخوصها الآخرى " المؤمن والعجوز و الرافصة " بإزاء طبقة القطط السمان الجزار والمعلم حسب الله والثرى المتصاج الباحث عن العرق المحرم مع عشيقته .... وعلى المستوى الاخلاقى نجد القاضى الفاضل يرصد فى بعض اقاصيصه طرفامن الممارسات الاخلاقية المنحرفة كما فى الصندوف /١ الذى اتفظ بنزوات الفنجرى على موعد خمسة اجيال زهاء قرن ونصف من الزمان

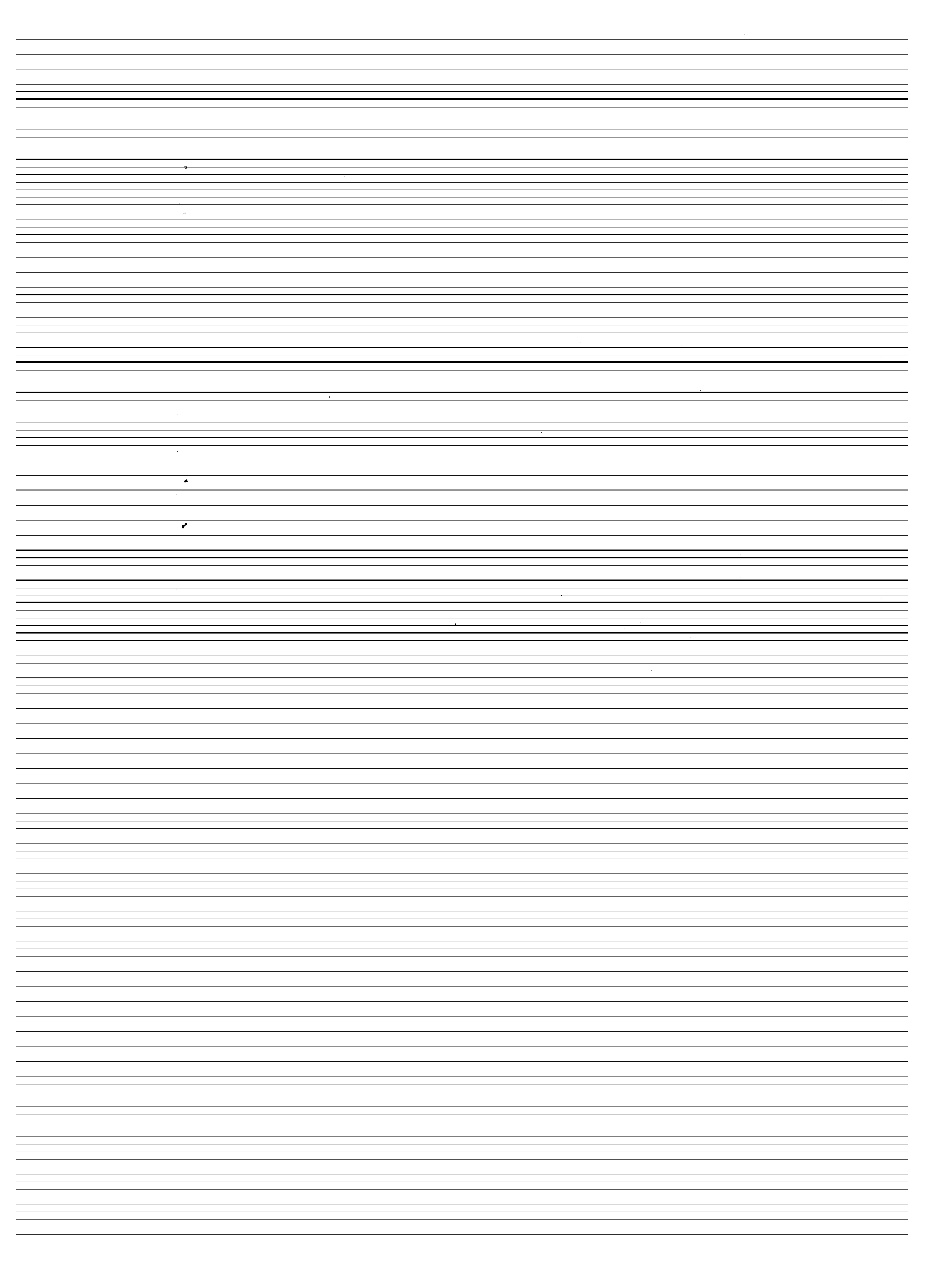
ومن حكاية الورقة النقدية /٣ يعرض لمستويين من هـذه الممارسـات الخلقيـة : المسـتوى الشـعبى / طبقـة الشـعب / فهمـي والمؤمـن والمستوى الرأسمالى / الجزارو الراقصة ، والثرى والعشـيق ، والـذى ترددت بينهم الورقه النقدية .لتكون نهايتها المفجعه بحرقهـا لإشـغال لفافة تبغ بين ثمانين لعوب وهى ممارسة اخلاقية متميزة وشائعة تلقانـا فى احداث كثـيرة مشـابهة . وعلـى المسـتوى النفسـى تلقانـه قصـة "الخاتم " مشكلة الفراغ الجنسى كما تلقان مشكلة الفراغ هذه فـى محاوله الاستاذ تعويض ما افتقده من حنان الزوجة والابنه عن طريـق الزواج من ايناس فى اختفاء الاثر اما " كلمات حـب فـى الدفـتر " فقد أعادت التوازن النفسى لرفعت وزرعـت الحـب فـى نفسـه مـن خلال كلمات الحب التى دونتها أخته عفاف فى دفترها ، فردته الى خطيبتـه ردا َجميلاَ كما نجد هـذه الظـاهره فـى قصتـه "عاشـقة الضوء"التى احتملت كل الوان العناء صامدة أمام مختلـف محـاولات الاغراء الجامحة فى انتظار الحبيب الغـائب .فتاتـه الغاليـه / تجـد أثـر الشائعات والأقاويل والافتراءات فى إفساد العلاقـات الحميمـه بـين الخطيبين . ويبدو أنه لمناية القاص الفاضل بهذة القضايا والمشـكلات التىكانت تشكل بالنسبة له هماَ خاص وهماَ إجتماعياَ بالغاَ

في وجدانه صرفته عن الهم السياسى ، أو حجبت عنه
رؤيته ، وكأن الوضع السياسى المصرى على الاقل لم يكن
يعنيه كثيراً او قليلاً .. ولا نظن أن الرداء الأحمر /١٢
يمكن أن تشفع له أو تفسد هذا الرأى برغم كونها قصه
رمزيه الاحداث والشخوص تجد شهوة الحكم فى التشبث
بالملك والسلطان وماقد يقضى الية من سفك واسع للدماء
... ذلك أن الهم السياسى أعمق من ان يعالج يمثل هذه
القصة الإ ان يكون القاص الفاضل يؤمن بالتخصص فى
مجالات الابداع أو أن يكون ابداع فى هذا المجال لم نطلع
عليه ..

وكما ابداع القاص فى عرضه قضايا مجتمعة الواقعية
ومشكلات أبطال قصصه وشخوصها المتنوعة فقد حقق
التكامل الفنى بكثر من قصص المجموعة من حيث الاحداث
المؤثرة والشخوص المتنوعه المحوريه الرئيسية منها والثانوية
الهامشية وما حرص علية من تحليل دقيق لكثيرمنها .. كما
يلمس القارىء لهذه المجموعة فقد الحبكة وروعة السرد
وسهولة التعبير وتنامى الاحداث

وتطور الصراع وطبيعة العقدة وبعدها عن الافتعال والمصادفة ولبثيت الحدث مما جعل لحظات التنوير / الحلول تاتى فيها طبيعة متوازنة وان شابها فى جوانب محدودة جداً شيء قليل من التفصيل والاطفال المخالف لطبيعة القصة القصيرة تحت الحاج الراغبة فى الوضوح فى التفضيل على نحو مانجد فى قصة عاشق الضوء وعلى هذه الشاكلة يتبدى لنا القاضى الفاضل الأستاذ حسنى سيد لبيب فى هذه المجموعه كلمات حب له اللدفتر قاصاً مبدى قد ملك أدوات هذا المعن المانع من القصة القصيرة وحرص على تكوين تقنياتها والتزامها فيها من انتقاء الحدث واختيار الشخوص الفاعلة ودق رسمها وتحليل أبعادها وملامحها الواقعية والرمزية وبناء الحبكة المتقفعة قالسياسية السرد وشيوع الحوار وطواعية اللغة وجمال العبارة وحلاوة الاسلوب ... وكل أولئك من مقومات المواهبة المبدعة الأصلية التى تبشر يابداع متواصل جدير بلاهتمام والتقدير

خليل أبو دياب



الصندوق

كانا يتناولان العشاء ، حين أثارته كلماتها ..

ــ نحن أحوج للقرش ، ولا نهتم بالكنز الذي بالصندوق . دُهِش لكلماتها . كثيرا ما فكر في أمر الصندوق ، وناقش أباه في سر الاحتفاظ به . ولما حيّرته الأجوبة ، نفض يديه عنه ، وانشغل بأمور حياته . همست أنوار حتى لا يسمع كلماتها غير زوجها :

ــ اسمع يا طلعت .. اذا فتحت الصندوق ، ستجد ذهبا ، نستطيع بيعه ودفع الخلو لشقة .

أطرقت هنيهة ، ثم استطردت :

ـ يعني لو قسمنا الثروة على أفراد العائلة ، سيكون نصيبنا مالا كثيرا . قال لها :

ـ ومن أدراكِ أن بالصندوق ذهبا ؟

ـ لن نخسر شيئا اذا فتحناه .

ـ محظور فتحه .

ـ محظور !... كيف ؟

أجل كيف ؟ شـرد به الذهن .. منـذ صباه يسمع كلمات الزجر والتحذير ، كلمات يغلفها الغموض ، أشبه بمطرقة تدق الأذن .. لا تقترب من الصندوق . لا تفتحه، ولا تعبث بـه .. حذار من لمسـه . انصاع للتحذيرات . وشب وفي نفسه خوف ورهبة . وفي سن الشباب ، أحب أن يكشف اللغز الذي انطوت عليه تعليمات الأب ، فقوبل بالصدود والجفاء . لـم يجد اجابة مقنعـة ، فرضخ للأمر الواقـع .

عاش أيامه لا يقرب هـذا الصندوق حتى أتـم دراسته ، والتحق بعمل ، ثم تزوج ، قانعا بغرفة دبّرت لـه في بيت

العائلة . لكن أنوار ضاقت بحياتها في الغرفة . تمنّت أن يجد طلعت شقة مناسبة ، شقة مستقلة ، تبني فيها حياتها الجديدة . مقدم أصغر شقة فوق طاقته . هداها التفكير الى الصندوق الأثري . ربما يحوي بداخله كنزاً ، وحين سألت حماتها عن الكنز الخبيء ، زجرتها ، قالت :

ــ لم أجرؤ منذ تزوجت على أن أهتم بــه .. إياك والحديث عنه ، أو الاقتراب منه .

ــ لمــاذا ؟

ــ لا داعي للمناقشة .

ــ لابد أن الصندوق يحوي ذهبا .. انظري اليه.. إنه ملفوف برباطات عديدة محكمــة ، وموضوع داخــل الدولاب ، ومغلق عليه . لو أنه صندوق عادي ، لما أغلق بهذه الطريقة ، واحتفظ به في مكان أمين .

اقتنع طلعت بما قالته أنوار . فأعاد النقاش مع أبيه حول فتح الصندوق ، و ...

ــ لن نخسر شيئا يا أبي . اذا وجدنــا ذهبا أو مالا

استفدنا بهما ، واذا وجدنا شيئا آخر تذكاريا احتفظنا بـه وعرفناه . واذا لم نجد شيئا ، نكون قد أمطنا اللثام عـن السر الكمين .

ورفض الأب الاقتراب من الصندوق ..

ـ دعك من أمر الصندوق ، وانصرف لحياتك .

ـ حـرام يا أبي أن نظل جامدين ، والمال والذهب مخبوءان في هذا الصندوق .

ـ دعك من أمر الصندوق . قد توارثناه على حالته، وتوارثنا وصية بأن يظل في مكانه مغلقا وبعيدا عن الأعين.

ـ دعني أفتحه .. أنا في حاجة للثروة التي بداخله .

احتقن وجه الأب غضبا ..

ـ إياك والاقتراب منه .

ـ المال سيحل مشاكلي ..

ـ ليس به مال .

ـ كيف عرفت ؟

هرولت الأم تقف حائلا بينه وبين الدولاب ..

ـ لا يا طلعت .. ابتعد عنه ..

هوت يد الأب الغاضبة ، تصفع وجهه ..

ـ أنت ظالم .. أتهينني ؟..

طيبت الأم خاطره ، وتدخلت زوجته .. الاثنتان حاولتا تخفيف الألم النفسي ، ومداواة أثر الصفعة . اللطمة . يدخل غرفته ، يسبقه إصرار بألا يحادث أحدا . لتكن خصومة بينه وبين أبيه حتى النهاية .. وليكن ما يكون .. رضخ الأب للخصومة ، فهي أهون مما سيقدم عليه ابنه من فعل طائش .

قالت له زوجته :

ـ اهدأ بالا يا محفوظ . يكفينا أن نراه بخير ، حتى لو خاصمنا ، فهذا أهون من أن يصاب بأذى . نظر إليها نظرات فاحصة ، ثم هدأ خاطره وقنع بما قالت .

استمرت الخصومة بين الأب وابنه أياما امتدت إلى شهور . لكن الخصومة لم تمنعهما من استجلاء غوامض الصندوق ، كل بطريقته .

الابن غير مقتنع بسلوك الأب . لو كان وراء الصندوق سرا يخفيه ، فلماذا لا يصارحه ؟ وان كان يخفي ثروة بداخله ، لا يريد أن يقاسمه فيها أحد ، يمكنه اخفاء الثروة في مكان آخر ، ويترك الصندوق ــ محط الأنظار ــ فارغا .. وان أعيت الأب الحيل في سر الصندوق ، فلماذا لا يدعه يكتشف السر بنفسه ، فيستريح ويريح الجميع؟

حيرته التساؤلات العديدة . أنوار لا تخفي ضيقها بالغرفة . حلم الثراء لم يداعب خياله ، ولكن كيف ؟ أحب أن يسأل عمه ، عساه يردّه بالحجة الكاشفة . امتقع وجه العم حين تطرّق الحديث إلى الصندوق ، قال :

ــ يكفي أن تعرف أن عمتك تفيدة أصابها أذى حين حاولت فتحه !.

ذعر . ضاقت الدنيا في ناظريه . غرق في لجج الصمت . قالت شفتاه المرتجفتان ، المذعورتان :

ـ تقصد أن الشلل الذي أصاب عمتي ...

ـ نعـــم ...

وارتدت النظرات الكسيرة إلى الأرض .

أما الأب ، فقد ساءت صحته . بات لا يهنأ بطعام أو شراب . وما حدث ، جعله يفكر في حكاية الصندوق ، سبب الخصومة . ربمـا الخصومة أفضل . أختــه تفيدة لاتزال المثل الحاضر أمام الجميع . قدمت زوجته بصينية القهوة . ارتشفا صامتين . قطــع الصمت بكلمات مفاجئة ، عــن اعتزامه سؤال أبيه فرغلي ، ربما لديه جواب شاف عــلى تساؤلاته .

لكن فرغلي ، بالسبعين عاما التي يرزح تحت عبئها ، لم تنسه أيام الشباب ، قال لابنه :

ـ اسمع يا ولد يا محفوظ .. رغم فارق السن بيننا .. إلا أنك أعقل مني .. بدليل انشغالك بحكاية الصندوق هذه . أنا لم أعطها كل هذا الاهتمام . وأعترف لك بأنني عرفت في شبابي اللهو البريء وغير البريء ، وكانت لي مغامراتي مع النساء ، ولا أذكر شيئا ذا بال بخصوص مــا

تريد أن تعرف ، كل ما أعرفه أن أختك أصيبت بلعنة كلعنة الفراعنة ، ومنذ ذلك الحين لم تمسّ الصندوق يد • قيل أن الجـان يحرسونه • وأذكر أن أبي رحمه اللـه قال أن الصندوق ورثه عن أبيه ، وورث معـه تحذيرا بألا نقترب منه • يعني صندوق متوارث أبا عن جد : فليكن تحفـة أثرية ، نحفظها في مكـان أمين ، أو نزيّن بهـا البيت •• على ألا ننشغل بها عن حياتنا • الموضوع أبسط من كـل ما تفكرون فيه •• فكّها يا ابني •• واستمتع بحياتك •

خرج محفوظ عن صمته ، مقطّبا ما بين حاجبيه :

ــ ابني هو الذي انشغل به ، واهتم بأمره •

قال فرغلي باستخفاف ، مشعلا سيجارته :

ــ عقله فاضي •• لا يجد ما ينشغل به غير صندوق تافه • يبدو أن زوجته فشلت كامرأة ••• ضحك محفوظ ، وأوضح لأبيه :

ــ هي التي تدفعه •

ــ فتش عـن المرأة ••• هيه •• لا بد أن تريح أنوار •• المرأة لا تضع أنفها في شيء ، إلا وتظل مشغولة به •

ــ ماذا أفعل يا أبي ؟

ــ اذهبا الى تفيدة ، فهي خير شاهد . ولتذهب أنوار معكما ..

شدّ نفسا عميقا من سيجارته ، قال ساخرا :

ــ أعاني يا محفوظ من الوحدة . ليتني أتزوج . لا تضحك . مازلتُ صالحا للزواج . أشترط أن تكون عروستي صغيرة .. و .. أعدك ألا أنشغل عنها بالتوافه، كالصندوق مثلا ...

ذهب الثلاثة ــ طلعت وأنوار ومحفوظ ــ إلى تفيدة . تقطن بغرفة متواضعة عند أطراف المدينة . قعيدة كرسيها، سجينة وحدتها . ليس لها أنيس سوى خادمتها أمينة التي تناهز الثانية عشرة من عمرها ، والمذياع . فرحت تفيدة بالزيارة المفاجئة . تبودلت التحايا والسلامات ، وشربوا الشاي . تعجل طلعت ، فحادثها بشأن الصندوق..قالت:

ــ الحكاية معروفة للجميع. أليس كذلك يا محفوظ؟

امتقع وجهها . بدت كما لو أنها تريد انهاء الحديث.

كانت حذرة ، وسرعان ما تحررت مما تعاني من قلق ، واسترسلت :

ـ أغراني شيء ما يفتح الصندوق • فضول شديد دفعني إلى أن أعرف ما بداخله • قبل هذه الليلة ، قضيتُ عدة ليالي أفكر في هذا • كنتُ أشكو ثقلا في حركة ساقي• في هذه الليلة ، فكرتُ طويلا ••• سمعت من قبل كلاما كثيرا عن الصندوق المسكون ! • استخففتُ • أغراني الصندوق • واستبدّ بي الفضول • الكل نيام • مشيتُ على أطراف أصابعي • هممتُ بفتحه • الصندوق جميل الشكل ، ومحلىّ بصدف ونقوش بديعة التناسق • تولدّ في نفسي خوف مفاجيء • انتصر الخوف الوليد• تراجعت• آويت إلى الفراش ، دون أن أحقق رغبتي • وأصبح الصبح ، لأنكب بما أصابني •

تبودل الصمت • أيقن محفوظ أن الشلل حدث لمجرد التفكير في الاقتراب من الصندوق • همس خوفا :

ـ هذه الحكاية تنبهنا إلى الضرر الذي يصيب كل من يقترب من •••

لم يكمل ، كأنه يخشى مجرد ذكر الاسم . وانفض المجلس .

انشغل طلعت بكلمات العمة . استرجع الحديث . العمة الطيبة قالت : « كنت أشكو ثقلا في حركة ساقي » . يعني للشلل أعراض . قد تكون بعيدة عن حكاية الصندوق . آه لو يصدق حدسه !

زار العمة بمفرده . استدرجها للحديث عن اصابتها بالشلل . دمعت عيناها ، و ...

— ألم تشعري يا عمتي بآلام في ساقيك ؟.. أذكر ما قلته أمس ..

— ماذا تقصد ؟

— ربما حكاية الصندوق ، ليست لها علاقة بـ ...

انهمرت الدموع من مآقيها . التزم الصمت لحظات . جذبها إلى حديث آخر حتى هدأت نفسا . قالت :

— اسمع يا ابن أخي .. قبل أن أمس الصندوق ،

حلمتُ به عدة ليالي . مرة أفتحه فأجد تفاحا كثيرا ، ومرة أجد سلة ذهبية ، ومرة لا أجد شيئا ... فأصررتُ على معرفة الحقيقة .

ابتسمت وهي تسترجع ما حدث ... استطردت :

ــ أقول لك الحق ، طمعت في الحصول على ما بالصندوق . ولما سألت أبي ، أحالني إلى جدي الذي استشاره ما أفكر فيه ، فنهرني ، مدّعيا أن به ورقة مكتوبة بكلمات السحر .. هكذا قال له أبوه .. أعطاه الصندوق ساحر هندي كان يزور مصر وقتذاك . أعتقد أنه قال لي هذه الكلمات ، إن لم تخني الذاكرة . لا أدري ما الذي أغراني بفتحه ، طمع في المال ، ربما .. لكن الخوف سيطر علي .. أخافتني كلمات السحر .. خفتُ أكثر ، وتثاقلت يدي .. وكان ما كان ..

استراح طلعت لكلمات العمة . هو الوهم سيطر عليها ، الوهم جسّده الخوف ، وما سمعته عن السحر الكامن بداخله . أصر طلعت على أن يُعيد على مسامع العمة ما قال :

ـــ لكنك يا عمتي شعرت بآلام المفاصل من قبـــل ، و ...

غزت الدموع عينيها من جديد . دائما تستثيرها هذه الكلمات .قد استقر في أعماقها أن ما أصابها من أذى كان بسبب الصندوق المسحور ! ولا تريد أن تسمع تفسيرا غير هذا . قالت في حدة :

ـــ بعد مرضي ، زارني في المنـــام ملاك يرتدي عباءة بيضاء . ربت على كتفي في حنان بالغ ، وردد كلمة واحدة:

ـــ الصندوق .. الصندوق .. الصندوق ..

أجهدت ذاكرتها ..

ـــ أذكر أنه زارني في المنام مرة واحدة .. ربمـــا .. مرتين ..

لم يشأ أن يثقل عليها ، فاستأذن منصرفا . عقد النية على فتـــح الصندوق ، وليكن ما يكـــون . حكى لأنوار ما قالته العمة . توجست خيفة . دقت بيدها على صدرها ، محـــذرة ..

ـ لا يا طلعت •• حتى لو كان الصندوق مليئا بالذهب • يكفي ما حدث لعمتك نفيدة •• السحر شيء فظيع • ليتني ما حدثتك أصلا عن الصندوق • أنا راضية بهذه الحياة ، قانعة بها •

اضطر أن يهادنها • الفكرة ملحة • انتهز فرصة نوم جميع من في البيت ، ونوم زوجته أيضا ، وتسلل على أطراف أصابعه إلى الغرفة المجاورة •• غرفة صغيرة جدا ، بها كنبة استانبولي ، وكليم متواضع ، ونضد والدولاب المغلق على الصندوق ، دولاب صغير من ضلفة واحدة • بحث عن المفتاح فلم يعثر عليه • أتى بسيخ حديدي عالج به الكالون ، فأحدث صوتا نبه أمه ، فهرولت إليه بخطى مضطربة ، ودفعته خارج الغرفة •• صائحة بصوت مصدوم:

ـ لن تطأ الغرفة •• سأغلقها ••

ـ الموضوع أبسط مما تفكرون فيه • يتهيأ لي أنه صندوق عادي نسجتم من حوله الخرافات • أريد يا أمي القضاء على القلق الذي منه تعانون •

ـ لا يا ابني •• أنت ولدي الوحيد •• أخاف عليك أن تمَسّ بسوء •••

استيقظت أنوار ، ثم أبوه .. لم يناموا في هذه الليلة . أصر الأب على مقاطعة ابنه . هو في حاله ، ونحن في حالنا . وحرّم عليه أن يبارح غرفته .

خيمت سحابة حزن في سماء البيت . انطوى طلعت على أحزانه ، والأب مهموم بهذا الصندوق ، قدره أن يكون حارسا لشيء غامض . والأم ترتعش لمجرد ذكر اسمه . والعمة في منفاها البعيد ، مع خادمتها أمينة ، والمذياع المسلي وعجز ساقيها . أما الجد ، فرغلي ، فمازالت روح الدعابة تسري في عروقه ، كأنه لا يعترف بأن الزمن قد نازله فهزمه .. قد أحال سواد شعره بياضا ، وأكثر التجاعيد في صفحة وجهه ... لكنه أحس هو الآخر بسحابة الحزن ، والوجوم الذي تتبادله الوجوه .. فيقول في خاطره .. « يا له من صندوق عجيب ! » . ويطرب للتسمية .. الصندوق العجيب .. تتشابه مع صندوق الدنيا في طرافة التسمية . ثم يقلب الكلمات ، مرددا فيما يشبه الهمس الداخلي .. « الدنيا صندوق » .. آه يا ولد يا محفوظ .. ويا ابن ولدي طلعت .. الدنيا صندوق .. نعم .. الدنيا صندوق مغلق بالأسرار والألغاز

والأعاجيب .. أنصتوا للكلمات التي يرددها ، وهم جلوس في حضرته . طربوا لكلمات الجد المتصابي . سأله طلعت :

ــ أهي فلسفة جديدة يا جدي ؟

قال الجد متحمسا لفكرته :

ــ الدنيا ، هــذه الأرض ، مجــرد قشــة في محيط الكون . فــلا عجب إذا وصفناها بأنهــا صندوق ، مغلق بالأسرار والأعاجيب والغموض . ألا تــرى الإنسان ، أي إنســان ، كائن حي ينطوي على أســرار لا يعلمهــا إلا الله ؟ يموت الإنسان وفي ضميره كلمات لم يقلها . الأرض هي الأخرى تنطوي على أسرار عجيبة ومدهشة .

ابتسم طلعت . يبدو أن جده فرغلي قد نجح في ازاحة كابوس الحزن والهم عن كاهله . قال طلعت :

ــ كلامك هــذا ... جعلني أرى الصندوق شــيئا صغيرا تافها ، بالمقارنة بما في عالمنا ودنيانا .

صاح فرغلي ، وقد تغيرت سحنته الى الجد :

ــ كلكم مهمــوم بالصندوق . لا تعطوه أكبــر من

حجمه . ظللت يا ولدي طول عمرك حارسا لشيء مجهول.
قد أعطيتك الشقة بمحتوياتها ، وقنعتُ أنا بغرفة واحدة.
وكان الصندوق ضمن إرث العائلة ، وإن كنتُ لم أحفل به.

تسلل طلعت أثناء انشغالهم بحديث الجد ، وهو حديث طويل وشيق . تسلل طلعت ويحث عن مفتاح الغرفة حتى اهتدى إليه . حرص على ألا يُسمع له صوت . عالج الباب بهدوء وأوصد الباب خلفه . ثم اقترب من الدولاب. تحرر من الخوف . كلام الجد شجعه ، وكلام العمة طمأنه. هو الوهم ران على العقول . هي الخرافة فعلت سحرها في النفوس . المرء يكلف بكل ما هو غير مألوف . حاول فتح الدولاب بسيخ حديدي ، حتى انفتح ، وأمسك بالصندوق الغامض .. هيه .. أيها الصندوق المزخرف الجميل .. أيها الصندوق اللغز المحير .. ماذا تحوي بداخلك ؟ أأنت كدنيانا تنطوي على أسرار وخفايا ومجهول ؟ أم أنت مجرد صندوق جميل الشكل وتحفة أثرية ؟

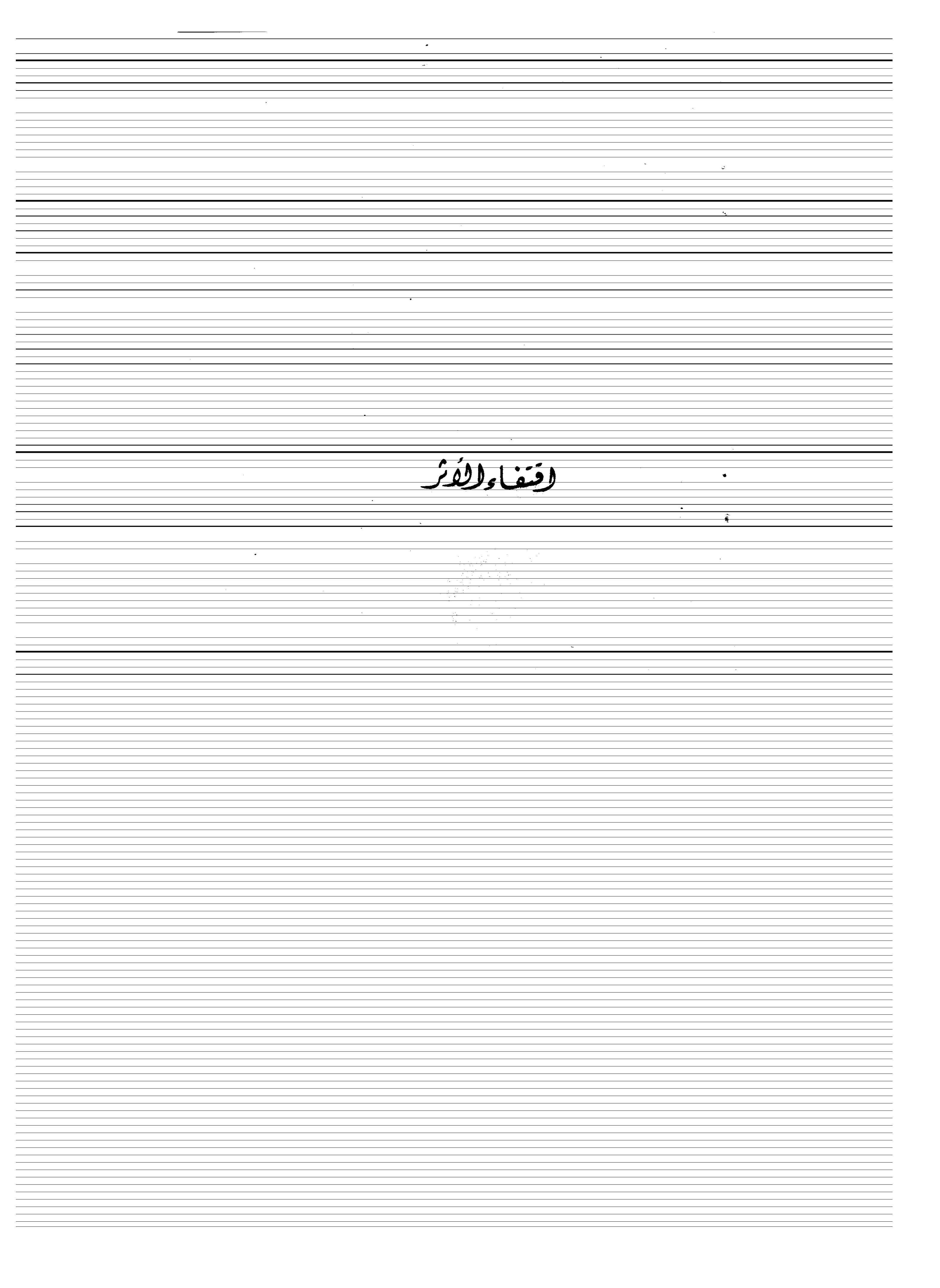
فض الرباط الملفوف حوله عدة لفات . غطاء الصندوق ليس مغلقا بمفتاح . رفع الغطاء ، فرأى ... ويا عجب ما رأى !.. عدة أوراق صفراء ! فتح الأوراق

المطوية ، فلم يجد كلام سحر أو طلاسم • مجرد كلام عادي كتبه عميد العائلة المسمّى (الفنجري) ، عن ذكريات حبه لغازية قدمت من الوجه البحري • أحبها الفنجري، واقتفى أثرهـا في الموالد والحفلات ، وكتب كل مـا أحس به من مشاعر وعواطف ، وذكر اسم زوجته ، مع احساس بالذنب لأنه يخونها •• ورقة أخيرة يقول فيها أنه اضطر إلى الادّعاء بأن الصندوق هدية من ساحر هندي ، ونبه زوجته إلى أن كل من يفتحه سيصاب بأذى ! • وادّعى أن الساحر الهندي نصحه بالاحتفاظ به في بيته ، ليبطل أعمال السحر التي يلجأ إليها المغرضون لايذائه ، على ألا يمسّ الصندوق •

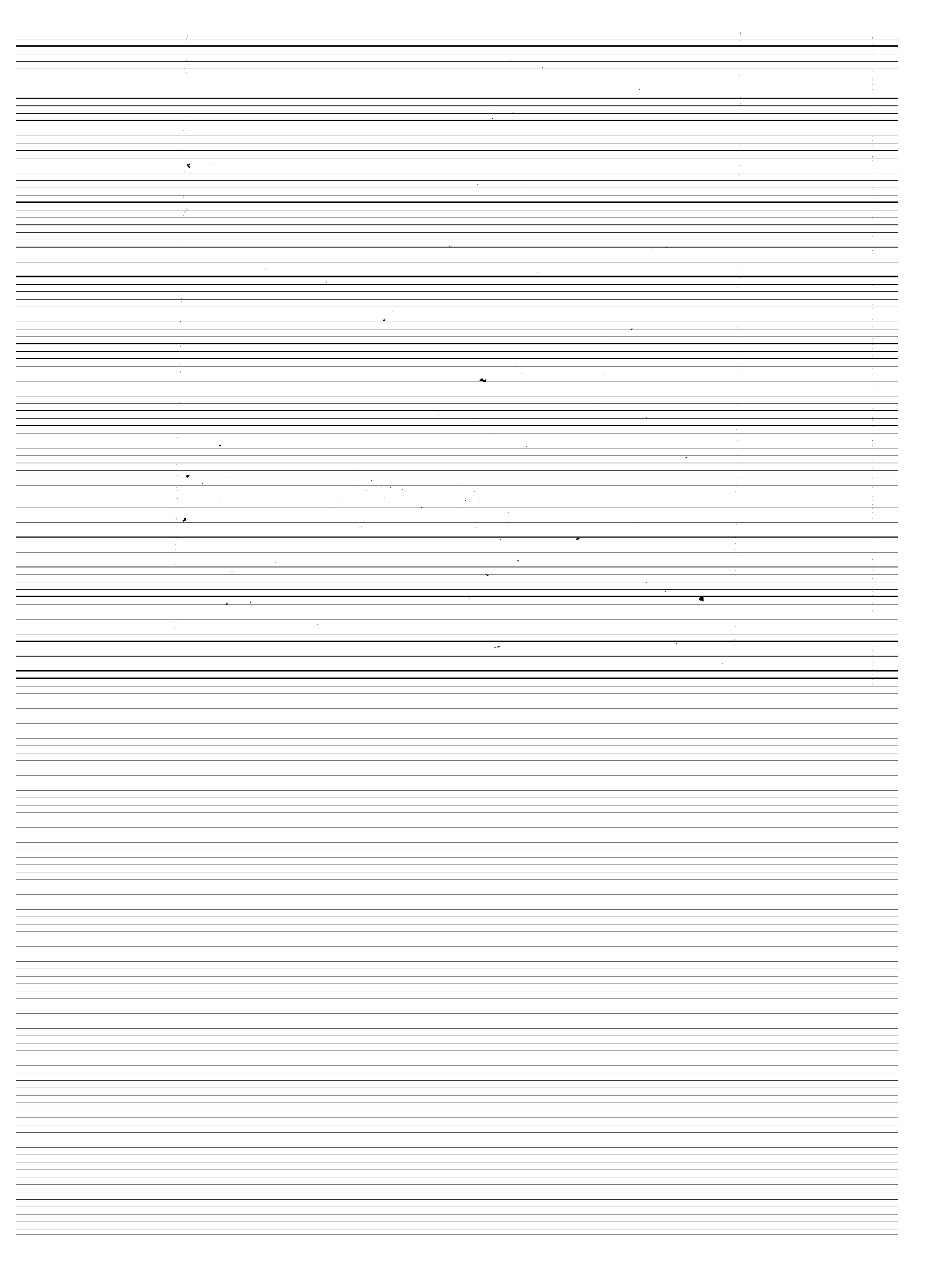
قهقه طلعة قهقهات عالية • يا لك من شقي يا فنجري، يا عميد العائلة ! ركض إليه الجميع على صوت قهقهات •• وسمعوا فصولا مغرية من قصة غرام « الفنجري » !•••

مارس ١٩٨١

★ ★ ★



اقتفاء الأثر



اقتفاء الأثر

الورقة النقدية ، أية ورقة ، عملة تتداولها الأيدي .
كم من أيد أمسكت بهذه الورقة التي آلت إلي الآن ؟..
وكم من أيد ستتداولها ؟ هل يمكن حصر العدد ، معرفة الوجوه ، الناس ؟ والكرسي الذي أجلس عليه في السيارة ، كم انسانا جلس عليه قبلي ؟.. وكم آخرين سوف يجلسون ؟ فضول عجيب يحفزني هذه الأيام إلى أن أعرف ، المعرفة لا حدود لها ، هذا حق . لكن الفضول يستحثني ، ويدفعني دفعا إلى متابعة الأشياء ، والناس . حتى أنني أحسست بأن عدّاداً خفياً يرصد حركات الانسان والأشياء ... هذا العداد دوما يدور دورانه المتلاحق . أليست الساعة تدور بلا توقف ؟.. الزمن يمضي .. حتى لو توقفت الساعات التي تحيط بمعاصمنا .

خواطر شتى جالت بخاطري ، وأنا سائر في شوارع العاصمة .. لا أتجه إلى جهة معينة . وليست لي رغبة كي أعود إلى شقتي . جذبتني فتـاة ترتدي سروال (الجينز) الذي جسّـد الردفين والساقين .. والحذاء ذو الكعب العالي الرفيع ، يدق افريز الشارع دقات منتظمة ، ملفتـة للانتباه . تحتضن حقيبة مدرسية صغيرة . الشعر المتموج منسـدل على الكتفين ، وعلى القميص الأحمـر الملتصق بجسمها .. رشيقة هي .. سرت خلفها ، ملاحقا خطواتها . شيء بداخلي يحثني كي أقتفي أثرها .. أسير وراءها .. صـوت بداخلي يهتف : « لابـد أن أعرف الجهـة التي تقصدها ! » .

تجاوزتها بخطوات أوسع ، والتفتّ ناحيتها ، فـاذا بوجه خمري طفولي .. أنف دقيق ، وعينان هادئتان ، وفم صغير ، وثقة واعتداد باديان على وجهها ، وفي خطواتها . لم تلتفت ناحيتي ، ولم تعرني انتباها . عدت أؤخرخطواتي عنها خطوة أو خطوتين .

قسمات وجهها تشبه قسمات وجه ابنتي نهى .

توقفت عنـد أحد الأكشاك ، وتحدثت بالهاتف مـع

شخص ما . بالطبع لا أعرفه . الفتاة مستغرقة في الحديث. قلما تبتسم . الشفتان تهمسان . الهمس لا يسمع . ضجيج الشارع غطى على الهمس . وقفت بجوارها يتملكني حبور وانشراح . تمثلت لي الفتاة كأنها ابنتي . وددت أن أحدثها ، وأن أشاركها السير . ابتعت علبة سجائر . تعمدت أن أدير مع صاحب الكشك حوارا عن اختفاء السجائر الجيدة . فضول عجيب يشدني إلى الفتاة ، وإلى المتحدث معها عبر أسلاك الهاتف . التقطت أذناي جزءا من ختام المكالمة ...

ـ سأنتظرك عند باب « السينما » .

ـ ....

ـ نعم ... أنا على بعد خطوات منها .

ـ ....

ـ لا تتأخر . نصف الساعة على الأكثر .

ـ ....

ـ مع السلامة يا حبيبي .

كنت قد أنهيت حديثي مع البائع ، فحثثت قدمي متعقبا الفتاة . هي على موعد مع حبيب القلب . لابد أن أتعرف على حبيبها . لاشك أنه وسيم .

انقطعت عني أخبار نهى ابنتي . هي تعيش في ذلك البلد البعيد الذي لم تطأه قدماي .

أتاها الحبيب المنتظر . حياها ، وتبادلا بضع كلمات. راقبتهما دون أن يلحظاني . ثم خطوت في أثر الشاب جهة شباك التذاكر . أشار إلى مقعدين في بداية أحد الصفوف، فاخترت المقعد الثالث لي .

أثناء مشاهدة الفيلم ، أصغيت لما قد يتفوهان به . ونادرا ما كانا يتكلمان ...

ـ سأزورك غدا .

ـ لا تتأخر .

ـ ولو أن أباك مستاء مني .

ـــ لا تبال •

ـــ أظنه غير راض عن علاقتنا •

ـــ هذا أمر يخصني •

ـــ أبوك من جيل قديم متزمت •

ـــ له أفكاره •• ولي أفكاري ••

انقطع الحوار ، ثم استكمل بعد حين •••

ـــ على كل حال ، هو لا يعلن عن استيائه •• لكني أحس بما في داخله •

ـــ أبي رجل طيب •

ـــ لكنه غير متحرر من أفكاره القديمة •

ـــ إنه لا يناقشني •

ـــ شأن معظم الآباء •

ـــ لو ناقشني ، سأقنعه بأفكاري •

ـ وما هي أفكارك ؟

تنهدت . لم ترد على السؤال . انقطع الحوار .
قالت :

ـ هذا الممثل خفيف الظل .

ولفهما صمت مبهم . أنهيا حالة الصمت بقزقزة اللب. حتى آخر الفيلم . شيء مبهم ، يجعلني ألملم أفكاري المبعثرة ، يشدني إلى شريط آخر في ذاكرتي ، يختلف عن شريط الفيلم . نهى بطلة الشريط بلا منافس . تمتثل قبالتي صورتها ، وينساب في أعطافي دفء ضحكاتها . وبطلة الفيلم ، تظل تجمع المال ، و لاشيء يشغلها غير ذلك. وفتاة (الجنيز) لا تني عن قزقزة اللب بصوت مسموع . ونهى ـ الغائبة المقيمة ـ تركتني منذ سنوات ثلاث خلت. وصلتني رسالة وأخرى ، ثم ثالثة ... ثم تجسد الصمت جدارا مخيفا ، وإن كان القلب يستشف من خلاله صوتها.

خرجت من السينما . عيناي تلاحقان الفتاة وصاحبها، حتى استقلا عربة أجرة مرقت بهما . سرت وحدي لأقرب محطة ركوب ، عائدا إلى شقتي الرطبة ، ولا أحد يدفىء فراشي ، أو يضيء لي شمعة واحدة .

عملي رتيب . كل صبح أتوجه إلى المدرسة . أشرح لبنات الثانوي دروس الرياضة ، وأفك عقدة التمارين . في الفصل ثلاثون فتاة في عمر الربيع . لابد أن تبدو أمامهن بوجه باش ، وأن تستبدل تلك القسمات القاتمة بأخرى مشرقة .

إيناس تلميذة هادئة . عرضت علي ذات يوم أن أعطي لها درسا . رفضت . لا أدري لماذا ؟ عناد مع نفسي ، ربما .. منذ ذلك اليوم ، تحرص إيناس على مقابلتي ، وتحيتي ، ولا تزد على ذلك قولا . بدأت أقترب منها . هي أصغر من نهى قليلا . بعد أيام ، تستقبل عامها السابع عشر . احمرار الخدين والشفتين ، ونصاعة بياض البشرة ، سمتان مشتركتان بين إيناس ونهى . أما نبرة الصوت فمختلفة ، إيناس صوتها هادىء ، ونهى صوتها رفيع عال . بعد أيام ، ستجلس وحدك ، تحتفل بعيد ميلادها ، وتحضر تورتة العيد ، كما تعودت أن تفعل . لابد أن تتخيل وجودهما ، زوجتك وابنتك . لابد أن يكون مقعدك بين مقعديهما . لا داعي لاحضار عشرين شمعة صغيرة . شمعتان تفيان ، كل واحدة تمثل عقدا من السنين . صورتاهما مازالتا على الجدار ، يبتسمان على

الدوام .. كأن الأولى تحدثك من البلد البعيد عن البلد البعيد ، والثانية تناجيك من الحياة الصاخبة عن الحياة الصاخبة .

أفاقتني إيناس من شرودي ، بنقرة خفيفة بأصبعها الرقيق على كتفي :

— يا أستاذ ... فيم أنت شارد ؟

— أهلاً إيناس .

رنت إليّ ، والصمت ديدنها ، وابتسامة ربيعية تجمل ثغرها :

— بعد غد ، حفل خطوبتي .. يسعدني أن تحضر .

ومدت يدها ببطاقة الدعوة المطبوعة . وكتبت بخطها المنمنم : « إلى والدي وأستاذي ... » .

كادت عيناي تدمعان . أأبكي جحود ابنتي نهى ، أم أبكي لحنان إيناس الفياض ؟

تلعثم القول على لساني :

ـ بودي لي ...

ـ لا يا أستاذ ... لا تعتذر .

ـ بعد غد ، عيد ميلاد نهى .

ـ نهى سافرت من سنين ، كما حدثتني .

ـ لا ضير .. سأحضر .. و .. ألف مبروك .

وفي الحفـل ، راقبت أمهـا وهي تستقبل المدعوين وترحب بهم ، وخمنت أن أباها متوفي . ربمـا تعتبرني في منزلة أبيها . ألم تكتب في بطاقتها « الى والدي » ؟ ألم تكتب لي كلمات عفوية ، وهي في سن البراءة لـم تزل ؟. ومالي أذهب بأفكاري بعيدا . ألم تنشأ بيننا علاقة خفية، فألمس وجه ابنتي في وجهها ، فأهبها عطفا أبويا ، كأنمـا إيناس صورة مجددة لنهى ؟

رحبت أمهـا بي ، كأنها تعرفني من زمن . يبدو أن إيناس حدثتها عني كثيرا . وبدأت أتصرف على سجيتي ، فما شعرت أني ضيف ، أو مدعـو من المدعوين . وإنمـا وجدت نفسي ـ تلقـاء نفسي ـ أرحب بأهـل العريس ،

كأني والد العروس ، فاستطارت إيناس فرحا . لاسيما وأني لم أصادف لها عما ولا خالا .

تمسك أم إيناس بمعصمي .. تقول مبتسمة :

ـ تعال .. لتلتقط لك صور معنا .

وقفت عن يمين إيناس ، ووقفت أمها عن يسار العريس . ثم تبدلت أوضاع وقوفنا ، وإيناس فرحة مبتسمة على الدوام . وأجدني أقترح أوضاعا أخرى . واختلط الأمر على أهل العريس ، فظنوا أني أمت بصلة قربى لإيناس .

قد تبددت الوحشة ، وذابت جدران الجليد التي تحيط بي . شعرت في هذه الليلة الشتائية ، بدفء الحياة ونبضها .

عدت إلى شقتي ، فإذا بصورتي نهى وزوجتي ، تطلان من إطاريهما ، وتحدقان في .. تبثان حديثا لم تنطقه الشفاه ، وكان الحديث ممزوجا بالأنين المبهم .

لم أنم . وقضيت الليل ، أحرق أنفاسه بسحب دخان

كثيف . ما أقساها وحدتي ، وما أغربها حياتي . أدنو من الخمسين ، وقد خسرت الكثير في معركة الحياة . لم يبق لي سوى ذكريات عابسة جهمة ، أجترها مضطرا ، إنها حياتي الماضية الغاربة ، ولا يمكن لرجل مثلي أن يطمع في علاقة ما ، كي يعوض ما فاته بما هو آت .

خلافات صغيرة بين زوجين . تضاعفت . وزاد من اشتعال نيرانها ، هذا العناد المفترس الذي شل ملامح وجهها ، وجه زوجتي طبعا . ولم أعد أطيق . بدأت أحيد عن وقاري ازاء ما أسمع من كلمات هوجاء . ونهى تصرخ باكية . هددت زوجتي بترك البيت ، وما أكثر هذه التهديدات . لكنها في هذه المرة خرجت ولم تعد . يبدو أن جنونا ما أصابها . أتترك البيت ، بعد خمسة عشر عاما من الزواج ؟

أرنو إلى صورتها ، وأسأل نفسي في عجب : لماذا أصر على بقاء الصورة ؟ لم يعد لها مكان في قلبي ، فلماذا أوسع لصورتها مكانا في بيتي ؟ أمازلت مصرا على ابقاء الحال كما هو ؟ قد تركتني واقترنت برجل أحبته ، أو هذا ما قالته تبريرا لسلوكها . وبدأت نهى تزورها ، فتقضي معها يوما أو اثنين . وبدت نهى مضطربة بعض الشيء .

ولم تكـد تكمل دراستها الثانوية ، حتى أتاها عريس ، أو أتت هي بعريس ، وقال أنه على سفر ، ومضطر لعقد القران في أقرب وقت • وتحقق لها ما أرادت ، وسافرت معه • ظننتها ستمكث سنة ثم تعود ، لكن السنين تمضي ، وانقطعت عني رسائلها وأخبارها ! .. أرنو إلى صورتها هي الأخرى ، وأسأل نفسي في عجب : لماذا أصر على بقاء الصورة ؟

إن قلبي ليكاد ينزف دما على الزوجة والابنة •

انبلج صبح ، وأنا جالس في مقعدي لا أبرحه • الذكريات المريرة تترى على الخاطر • الليلة عيد ميلاد نهى• كانت النية معقودة على ارسال بطاقة تهنئة • لكن القلم خانني ، والقلب تمرد علي ، والنفس لم تطاوعني •

هل يعود الغائب ؟•• وهل تصفو النفس ؟•• وهل يسترد القلب شبابه ؟

وماذا بعد « هل » ؟•••

راودتني فكرة ، فأتيت بورقة مالية فئة خمسة جنيهات • وكتبت عليها اسمي « خليل » ، ودونت التاريخ•

قلت لنفسي : لو كنت محظوظا ، ستعود نفس الورقة إلي ••• وأعرف كم من الوقت استغرقته حتى أستردها •

وهل تعود نهى من البلد البعيد ؟

وهل ترد إلي زوجتي من الحياة الصاخبة ؟

هل يتحقق لي هذا ؟

وماذا بعد « هل » ؟•••

حكيت قصتي لإيناس وأمها ، في الزيارة التي ألحت عليها إيناس • وبدأت أتحلل من تزمتي ، وأعطي لها درسا • وأصررت على أن يكون بلا مقابل ، فألحت أمها على أن تنقدني أجرا •

أتردد على البيت يومين كل أسبوع • واعتبرت هذين اليومين من أسعد أيام حياتي •• ولم لا ؟•• فقد بات للدنيا طعم حلو ، ومذاق سائغ •

أثناء سيري ، فوجئت بفتاة « الجينز » تسير قبلي • يا للصدفة ومفاجآتها • تتأبط ذراع حبيبها أو عشيقها ،

ويا للغرابة ، إنه ليس الشاب الذي أعرفه ، إنه شاب غيره، هكذا .. لـم يمض أسبوعان ، ويتغير الحبيب ! لعنت الفتاة . وددت لو أقحم نفسي ، وأعلن للشاب الحقيقة . ولكن ... مالي وشأن الفتاة ، قد يكون الشاب خادعـا مثلها . قد يكون الاثنان كلا منهما يظن أنه يخدع الآخر. ربما وقع الاثنان في شـرك متبادل .. و « الطيـور على أشكالها تقع » .

لم تعد تعنيني فتاة (الجينز) . ليـس لي فضول في معرفة التفاصيل . تجاوزتها ، كأنني لم أرها ، كأن هـذا الوجه لا يشبه من قريب أو بعيد وجه ابنتي نهى .

وتمضي أيامي .. لا شيء يملؤها بالبشر والبهجـة سوى زيارتي لإيناس . وبدأت الحياة تتلون بألوان بهيجة زاهية . وإذا بي يخالجني إحساس بأن إيناس بمثابة ابنتي. نهى لم تعد ابنتي . إنها لا تكتب لي ولا ترد على ما أكتبه لها . كأنما هي لا تعترف بأبوتي ، وتنكرها كل النكران . أما زوجتي ، فحكايتها معروفة . ولعـل زواجها الجديد خير دليل على أنهـا كفرت بحياتي وطهقت .. دونما ذنب جنيتـه !.

أسأل قلبي : مادامت إينـاس بمثابة ابنتك ، فلمـاذا لا تكون أمها بمثابة زوجتك ؟ لمـاذا لا تتقدم للزواج منها ؟.. إن السن مناسبة ، والظروف مواتية .

لقيت الفكرة تأييدا قويا ، وألحت علي إلحاحا لا أملك له دفعا ، فانقدت له ، وعزمت على مفاتحة أم إيناس . انتهزت فرصة سفر إيناس في رحلة مدرسية ، وقابلت أمها، وفاتحتها في الزواج . كان الخبر مفاجأة ..

ـ معذرة يا أستاذ ... فأنت على خلق كريم ..

ـ لماذا إذن الاعتذار ؟

ـ لأني أصلا لا أريد أن أتزوج .

ـ ...

ـ اعتذاري ليـس لشخصك ، وإنما لأنني لا أعتزم الـزواج .

ـ أرى أن ايناس في حاجة إلى عطف الأب .

ـ أحاول أن أعوضها .. كما ترى ، لم أتزوج منـذ عشر سنوات ، لأجل خاطرها .

ــ أنت ... سيدة عظيمة .

ــ قد نذرت نفسي لتربيتها .

ــ ...

لازمني وجوم وأسى ، غلفا محياي ..

ــ أرجو أن تظل كما أنت صديقا لها .

ــ وأرجو ألا تعرف إيناس شيئا عن جرأتي ..

ــ ليكن ما تريد .

عدت في هذا اليوم ، بخفي حنين ، واعتكفت يوما كاملا بالبيت ، أداوي آلامي النفسية فأفشل ، وتدمع العينان .. صرت مفلسا .. حصاد حياتي صفر ، والصفر لا قيمة له .. والماضي ــ حتى الماضي ــ ذكرياته أليمة .

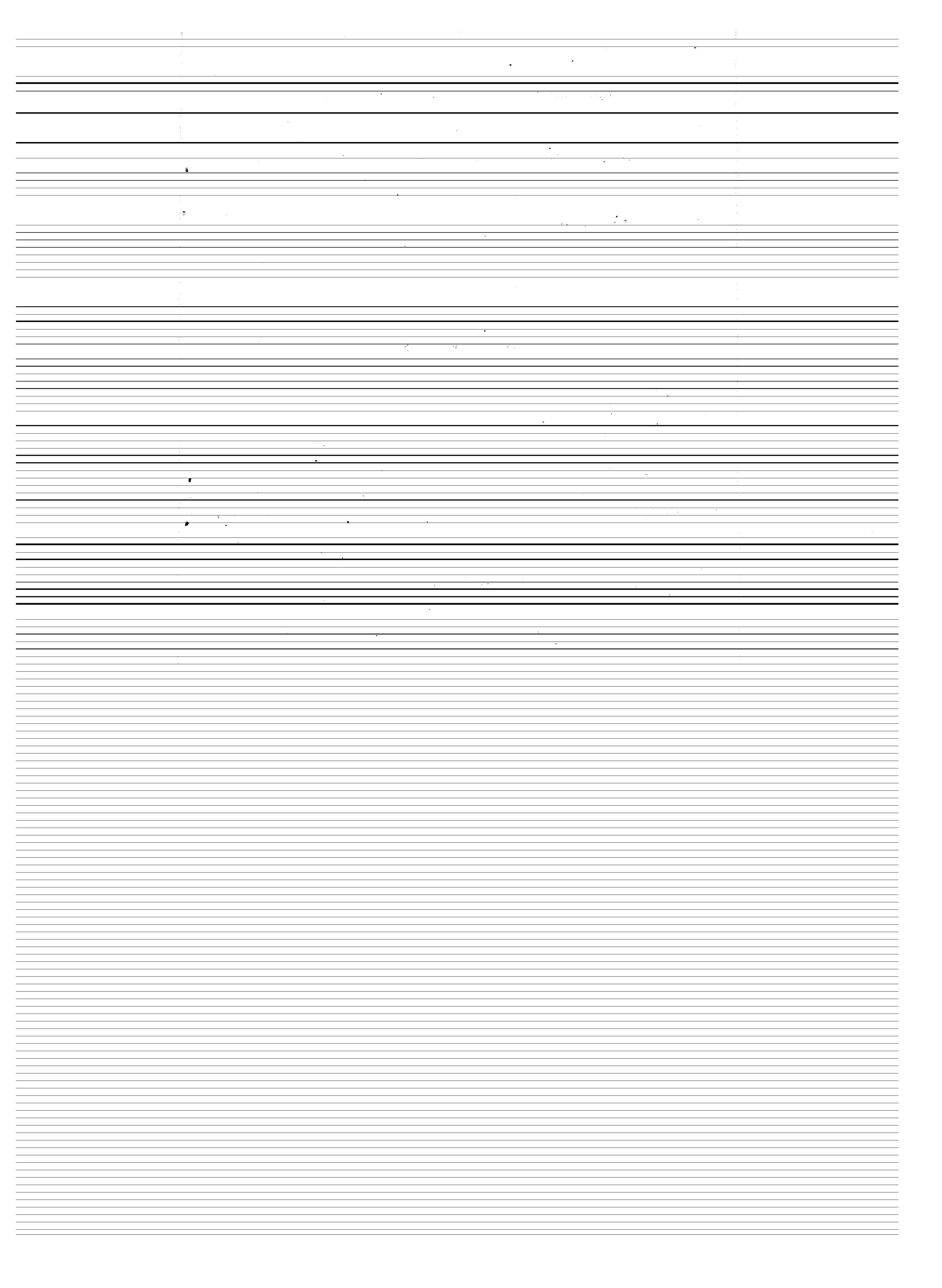
عرفت الطريق إلى قبر أمي ، أمي الحنون التي ذهبت، ولم أعد أعثر لها على أثر !

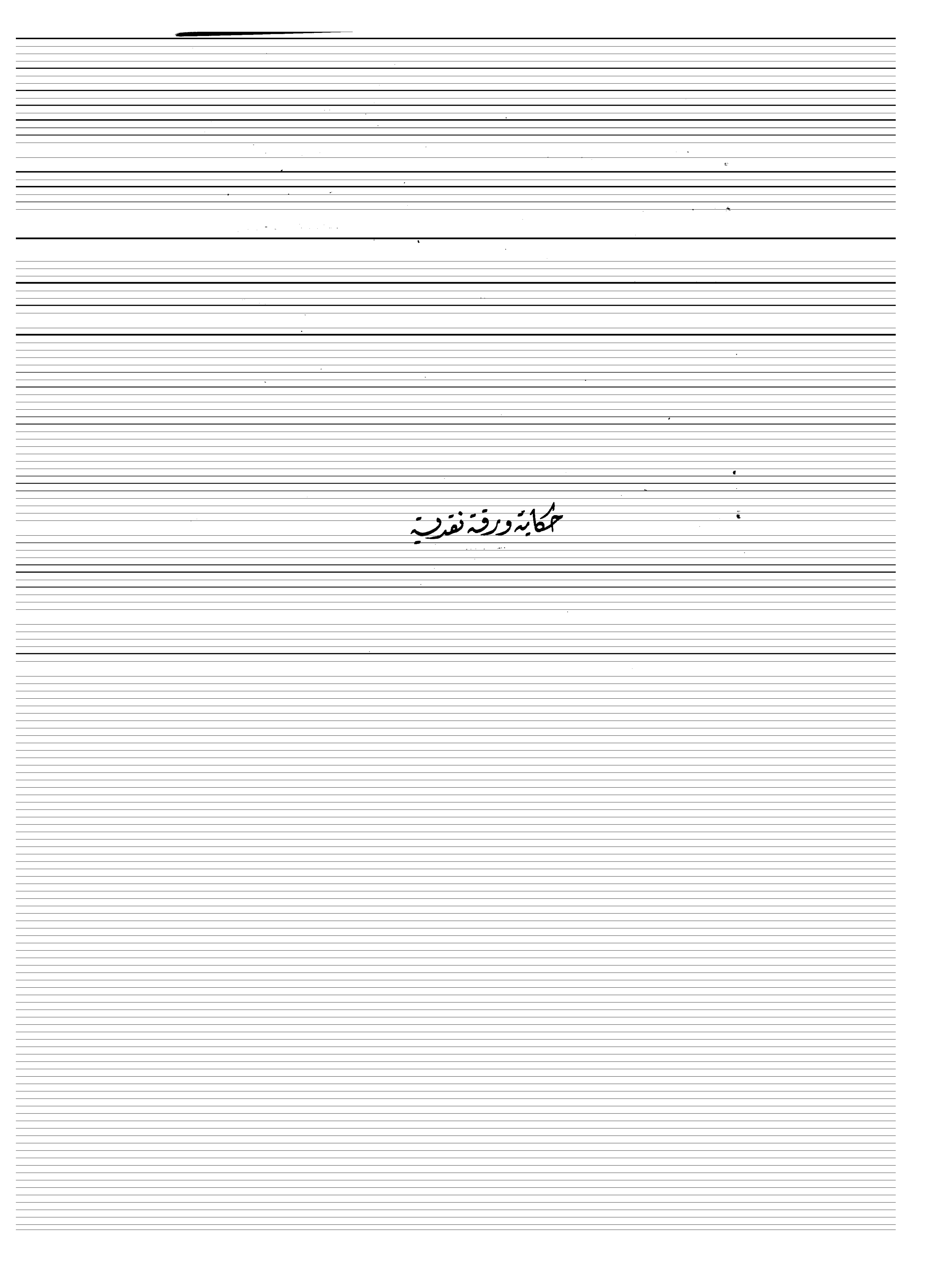
أمي ... هــل يأتيني صوتك من العالــم المجهول ،
فتحكين لي عن العالم المجهول ؟!

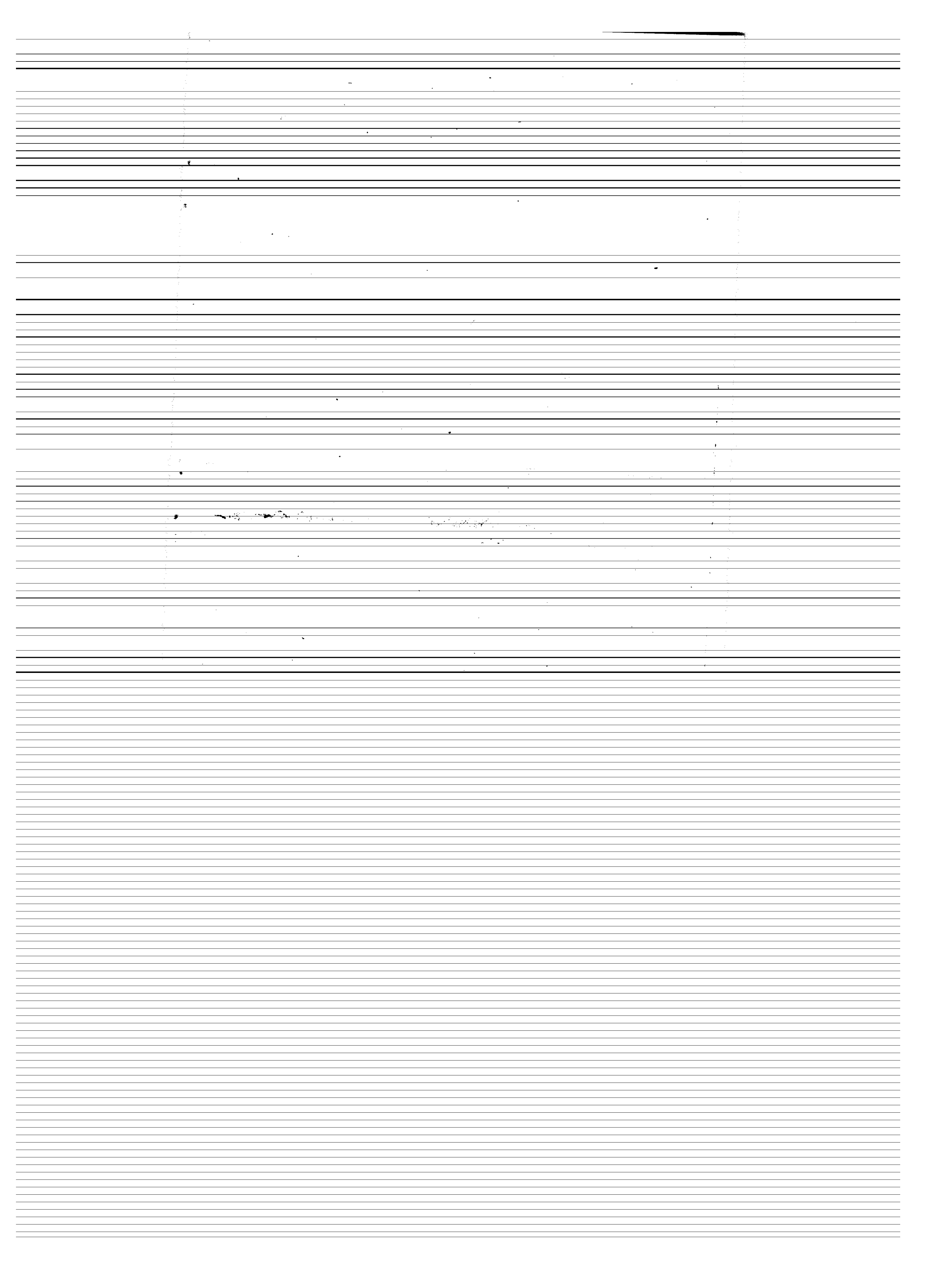
هل ؟... ما أقساها من كلمة ، حين تصير ســؤالا
بغير جواب !

مارس ١٩٨٠






حكاية ورقة نقدية



حكاية ورقة نقدية

أخرجني الصراف من إحدى الرزم ، ورقة خضراء لامعة ، تسر الناظرين . أخذ يعدّ الأوراق ، وكنت في ذاكرته مجرد ورقة ، تعد مع أوراق أخرى ، لينقد الموظف راتبه الشهري .

عد الموظف ما استلم من أوراق . كنت مما شمله العد . اطمأن إلى راتبه ، ووضعه في جيب سترته . تضايقت من الجيب المظلم ، أشبه بقبو ساخن . كدت أختنق . تراكم غبار السنين وتجمع في أنسجة القماش . لم يفرج عني إلا عند وصوله البيت . زوجته أملت عليه طلبات البيت . علق بكلمات موجزة :

ـ الطلبات لا تنتهي ..

اكتئاب • شرد قليلا • الراتب موضوع على النضد • كنت واحدة من الأوراق القليلة • أحمل رقما • تريثت • ماذا أنت فاعل بي يا أنور آفندي ؟ وهذا اسمه ، ناداه به الصراف • أما أنا فلا اسم لي ، حتى رقمي المطبوع ، لا أحد يحفل به •

بدت عليه الحيرة ، حين أمسك ورقة وقلما • يبدو أننا غير قادرين على نجدة أنور أفندي ، وانقاذه من محنته• أحصى بنود الصرف فوجدها عديدة ، لا يتحملها راتبه الصغير • تململ في جلسته ، أحس بتعب • لا أدري لماذا انتقاني من بين الأوراق ، واحتجزني في مكان أمين ؟ حدث نفسه ، كأنه يخاطبني :

ـ وأنت أيتها الورقة الجديدة • ابقي في هذه العلبة ، لأيام العسر في آخر الشهر •

كان مزهوا بي، ورقة خضراء من فئة العشرين جنيهاً• لكني تضايقت من الوسيلة التي عبر بها عن اعجابه • فقد سجنني في علبة صغيرة • ظللت حبيسة في قمقم ، إلى أن أفرج عني أخيرا ، في اليوم العاشر من الشهر • لم يصبر طويلا •

أعطاني لزوجته ، لتشتري بي كيلو لحم ، وتحرص على الباقي لا تبدده . ناولها القصاب لفافة اللحم وأخذني منها . شممت رائحة الدم في يده . ووضعني في درج خشبي صغير ، وسط أوراق مبعثرة قديمة وجديدة .

فقدت أهميتي عند القصاب . لم يحرص عليّ حرص الموظف الغلبان . وفي آخر النهار ، رتب أوراقه المالية بسرعة عجيبة ، ودس كومة الأوراق في جيب جلبابه الأبيض، وعاد إلى بيته منفوشا كالطاووس . أمسك بنا ــ نحن الأوراق المالية ــ وألقانا بغير اكتراث أعلى التليفزيون . غير ملابسه ، واغتسل ، وتناول طعامه . ثم تهيأ للذهاب إلى فرح صديقه ، عرفت ذلك حين قال لزوجته :

ــ المعلم حسب الله ، تاجر القماش ، فرح بنته الليلة .

جلس في الصوان مع أصدقائه ، يشربون البيرة ويكركرون بالنرجيلة . وتبارى التجار المعلمون في اعطاء النقود للراقصة . وأصر صاحبي القصاب على الرقص عشرة بلدي ، مع الراقصة ممتلئة الجسم ، ترجرجتُ في جيبه ، أحسستُ بهزات متتالية ، وإذا به يخرجنا من جيبه ، وينتقي

ورقة . مد يده إلى ورقة العشرة جنيهات ، لكنه أعادها إلى مكانها ، وأخذني بدلا منها ، ودسني في صدر الراقصة المتصبب عرقا . ابتللت من عرقها . رقصت بنشوة وانسجام . واضح أنها سعيدة بالمال المدسوس بصدرها . ووجدت أني لستُ الورقة الوحيدة المحشورة في النهر الفاصل بين ثدييها . هنالك أوراق أخرى تكرمشت أو تكورت .

تعبتُ من رجرجة الثديين ، وحزنت لما آل إليه حالي ، فقد تكرمشت قليلا ، ورائحة العرق انتقلت من بشرتها البيضاء إليّ وإلى الأوراق الأخرى .

ولما انتهى الفرح ، جُمِعَتْ الأوراق التي مع الراقصة ، وزميلها المطرب ، ومذيع الحفل ، ووزعت على أفراد الفرقة . كنت أنا من نصيب الراقصة ، ومعي أوراق أخرى . وضعتني في حقيبتها الجلدية البيضاء ، وعادت إلى بيتها قرب الفجر ، منهوكة القوى ، فأغفت دون أن تبدل ثيابها . وظللت داخل الحقيبة المغلقة .

وفي الصباح ، اختارتني من بين الأوراق الأخرى ، وحملتني إلى صاحبة البيت تسدد إيجار الشهر . وصاحبة

البيت العجوز ناولتني بدورها إلى ابنهـا فهمي ، الطالب الجامعي ، ليشتري كتابا .

لكنه لم يشتر الكتاب . سهر مع أصدقائه . تناولوا زجاجات البيـرة والمزة ، وأكلات كباب وكبـدة وفواتح شهية . استأذن فهمي باشارة فطنوا لمعناها ، فابتسموا له . وفي غرفـة مجاورة ، كانت امرأة في انتظاره . قضى وطره معها ، وأعطاها إياي ، وكنتُ الورقة الوحيدة التي بجيبه، لتعطيه عشرة جنيهات . لكنها طمعت فيّ . لـم يعترض . وإنما علق باسما :

ــ لقد أخذتِ ثمن الكتاب كله .

تأوهت وعانقته قائلة :

ــ ألست أنا كتابا مفتوحا ؟ علمتك أشـياء لم تكن تعرفهـا .

أهاجه صوتها ، فأكمل كوب البيرة دفعـة واحدة ، وأخذ يتحسس مفاتنها . راقبت كل ذلك ، وأنا ملقاة على نضد منخفضة . احتقرتُ فهمي . كذب على أمه . ماعلينا،

فأنا الآن أسيرة بين يدي هذه المرأة.هذا قدري ، والأمر للــه ..

صباحا ، حملتني المــرأة في كيس صغيــر . مشت بخطوات عصبية . تأففتُ من وجهها الملطخ بأصابع وألوان لا تناسق فيها ولا جمال . حمدتُ الله على أنني حبستُ في الكيس ، فلا أرى شيئا . لكن الكيس لم يكن محكــم الغلق . انتهزتها فرصة لأتنفس الصعداء . ساعدتني حركتها العصبية وعدم اتزانها ، مــع هبوب النسيم ، لأسقط من الكيس على الأرض . سعدتُ لأني هربتُ من هذه المرأة.

انحنى رجل عجوز معدم والتقطني من على الأرض . جرى في أثرها مناديا عليها :

ـ ست .. يا ست ..

وأشار إليّ . ابتسمت ابتسامة باهتــة ، وأخذتني وأعادتني إلى الكيس ، أحكمــت غلقــه ، وحرصت عليه . وعجبتُ لهذا المعدم الذي لم يحررني ، مــع أنني كنتُ سأفك عنه ضائقة مالية .

دفعتني للصيدلي وأخذت دواء . عــدتُ إلى درج الخزينة الضيق . وإن كنتُ سعيدة لتخلصي من هذه المرأة

المقرفة ، أو هي التي تخلصت مني لحاجتها إلى الدواء . ربنا يشفيها مما يشقيها .

أصابني البلى . لم أعد ذات بريق كسابق عهدي ، بفعل الأيدي التي تداولتني ولم تحرص علي . هكذا حالنا وقدرنا نحن الأوراق المالية . شردت قليلا . نسيت أن أكتب شيئا مهما . فنحن أصل الشقاء الانساني . بسببنا ترتكب الجرائم ، وتشن الحروب .. يتقاتل البشر بسبب الطمع والجشع ، ورغم ذلك ، قلما يهتم أحد بمشوار العناء الذي نقطعه في خدمة الانسان . ما علينا من كل هذا ، فقد اختنقت في الدرج الخشبي ، وتراكمت فوقي الأوراق . كدت أختنق بفعل أنامل فتاة الخزينة . ومن حين لآخر ، تعد الفتاة أوراق العشرين ، والأوراق الأصغر ، وتطمئن على صحة الحسابات . أخيرا ، أمسك صاحب الصيدلية برزم الأوراق وتوجه بنا إلى بيته . لم أبت في شقته المرتبة الأنيقة سوى ليلة واحدة ، ثم حملني مع صويحباتي إلى البنك ليضيفنا إلى حسابه ، واحتفظ في جيبه بأوراق قليلة من فئة العشرة جنيهات .

أخيرا ، استقر بي المقام في دار المال ، مع ناس يعرفون قيمتنا ، ويستضيفوننا عندهم في خزائن حديدية . الصراف

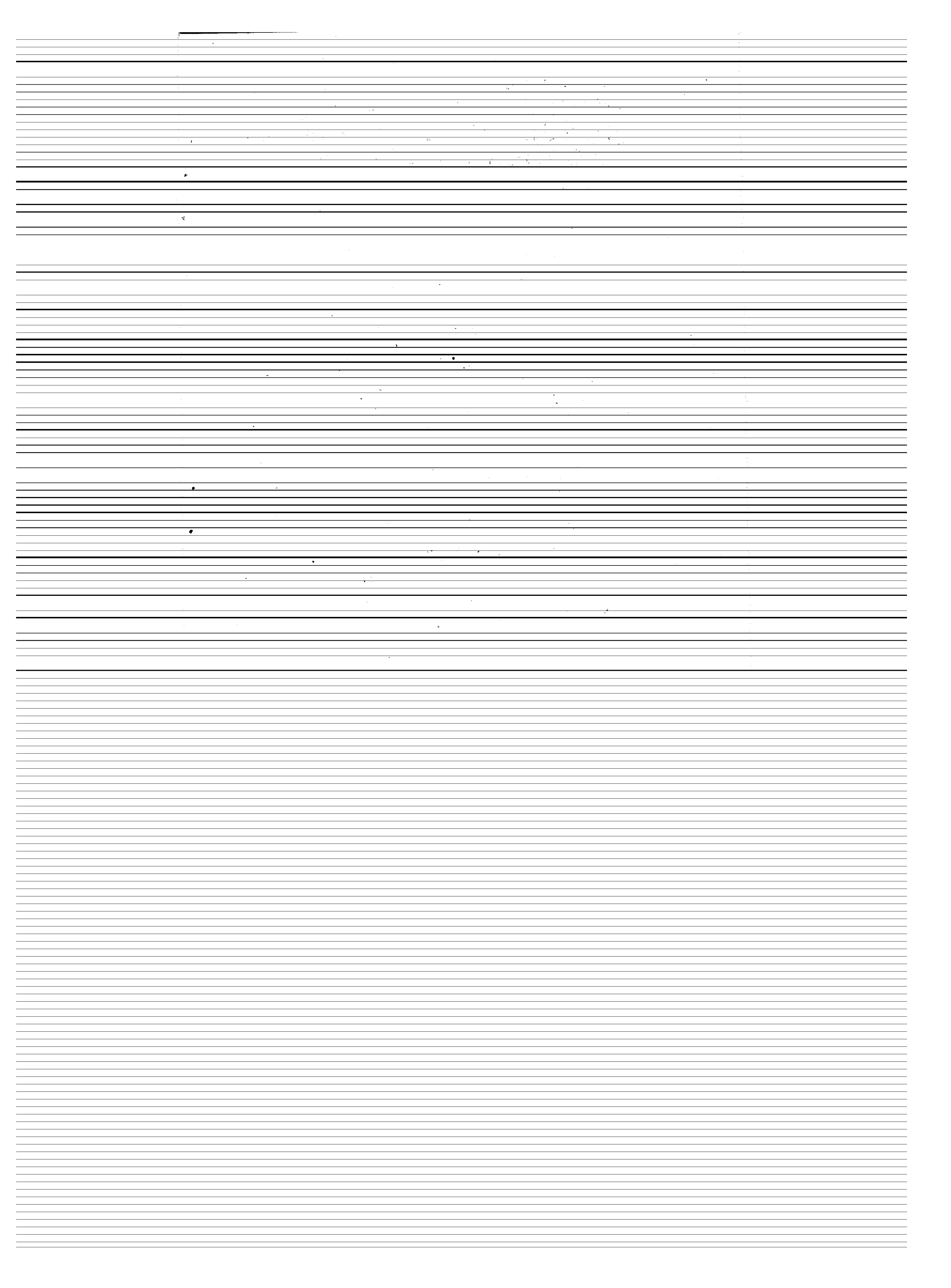
الذي استضافني ، مشغول بصرف شيكات جديدة •• وفي دقائق ، ألفيت الصراف الأنيق يمسكني ويرصني ضمن (الباكو) ، ويلفنا بشريط ورقي مصمغ يكتب عليه (ألفي جنيه) • وهكذا يفعل مع باقي الأوراق • وبعد فترة ، أتى ثري وأعطاه شيكا ، استلم به خمسة بكوات ، وهكذا غادرت البنك ، في صحبة الثري • لم أمكث طويلا بقصره• أثاث فاخر ، وعطور طيبة ، وملابس أنيقة •• كل شيء مرتب وفخم • انتابني احساس بأن مظهري البالي ، لا يناسب المقام هنا • وددتُ لو هربت من بين الأوراق وطرت في الهواء • ولكن ليست لي أجنحة أطير بها • مكثت مختنقة لا يسمع أنيني أحد •

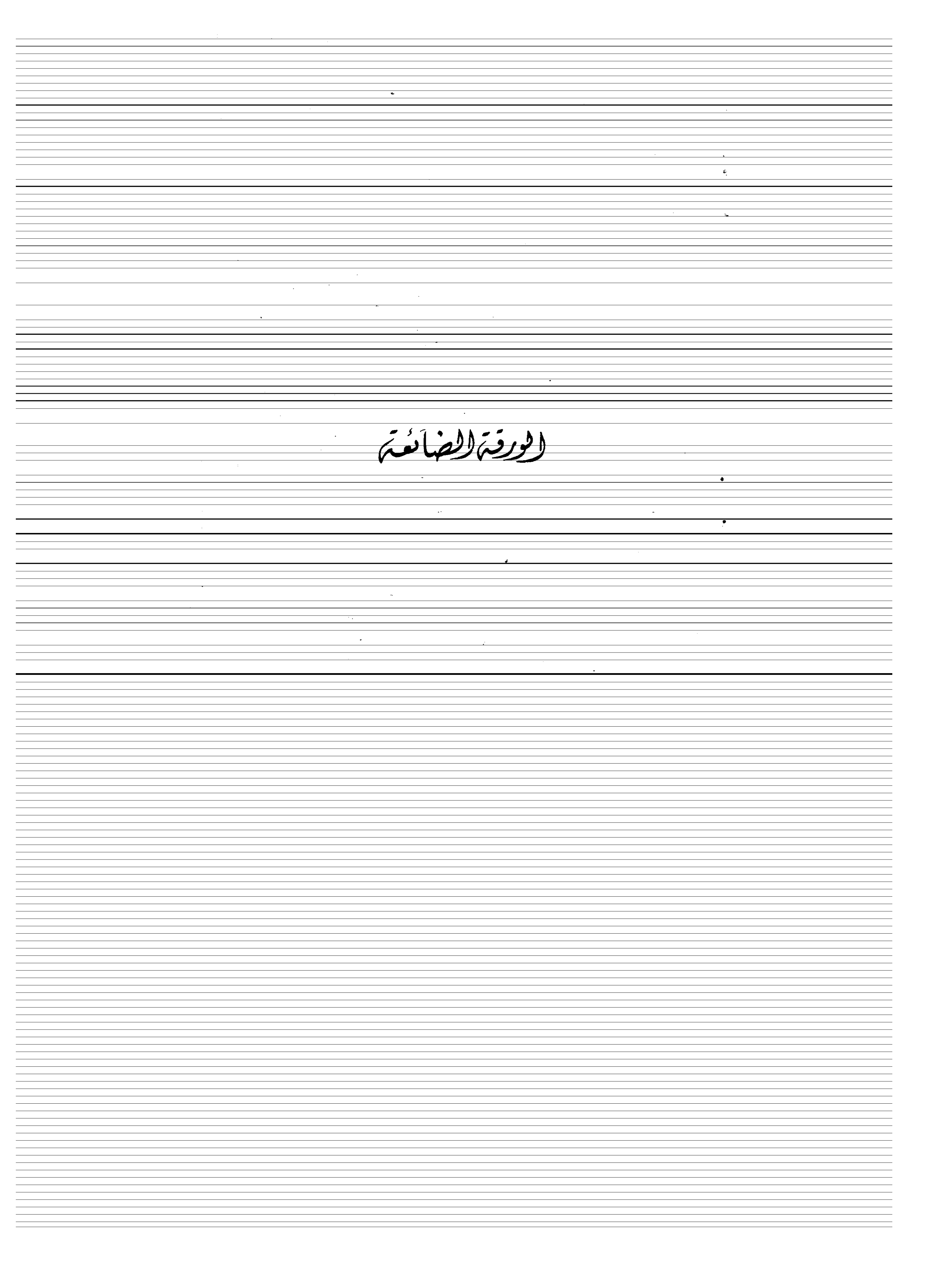
لم يطل مقامي في القصر ، ففي المساء ارتدى الثري ثيابه ، وفك (الباكو) الذي وضعت بداخله • ووضع الأوراق في المحفظة ، وخرج سريعا يستقل عربته ، متجها إلى فندق سياحي •• اعترض طريقه شحاذ دعا له بطول العمر • أخرج ورقة صغيرة من فئة الربع جنيه وأعطاه إياها • وددت لو مد يده إليّ ، كي أعين هذا المسكين ، أو أصير طليقة في مهب الريح ، أطير مع غيري من الأوراق ، فتمتد إلينا الأيدي المحتاجة ، أو يطير كل منا إلى حيث

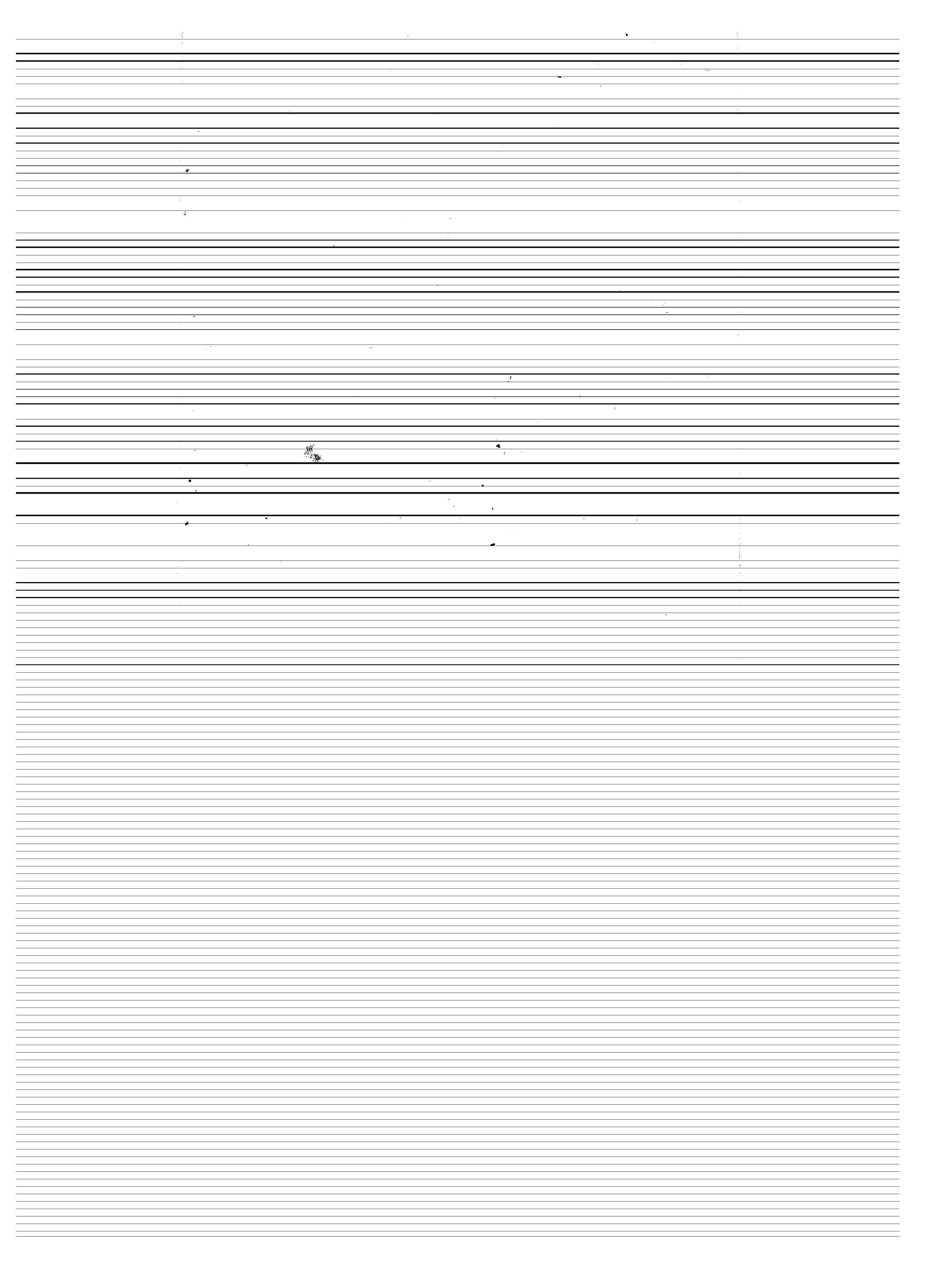
يقيم الشقي والفقير والمريض. نعرف نحن الوجوه الصفراء حائلة اللون التي لم تذق طعاما ، أو تكاد تموت كمدا بفعل الهم والشقاء . ما علينا من كل هذا . إنها أحلام عصافير . مازالت قابعة في محفظة الثرى ، ولا أملك سوى الحلم . لحظة الحلم جميلة ، حين أتخيل ابتسامة ما مرتسمة في وجه بائــس .

في ركن حالم ، جلس ينتظر عشيقته . أتت متأخرة . قبّل يدها وأجلسها في مواجهته . دار بينهما حوار ناعــم رقيق . أخرجت علبة الدخان من حقيبتها السوداء الأنيقة . تناولت لفافــة . همت بإشعالها بالولاعة . تنــاول الثري محفظته سريعا ، وسحب ورقة دون أن ينظر إليها ، فإذا بي بين أصابعه .. مصادفة .. ولفني ســريعا كقرطاس صغير ضيق . نفخ بفمه لهب الولاعة ، وقربني من لهب الشمعدان الموضوع على النضد ، وأحرقني . اشتعلت النــار في .. آي .. أي .. إني أحترق . وألفيته يقربني من اللفافة ، يشعلها ، وهي تبتسم في رقة وعذوبة . رماني في المنفضة ، رمى البقية الباقيــة . النار مازالت مشتعلة فيّ ، وحديث العشق موصول بينهما .. بينما أنا أتلاشى ، أتحول إلــى رماد .. أي أي أي ... آه ..

يوليو ١٩٩١




الورقة الضائعة



الورقة الضائعة

طابوران طويلان أمام جمعية استهلاكية . طابور للسيدات وثان للرجال . يتدافع الناس ، يتعالى صياحهم . الطابوران غير منتظمين . تنثال الشتائم من مرزوق، جزار الجمعية . ساطوره يرتفع عاليا ، ثم يهوي على اللحم ، يقتطع منه بيد مدربة ما يوازي الكيلو جرامات التي سيقوم بوزنها . من وقت لآخر ، يخترق الطابورين المسؤول الأول في الجمعية ، الأستاذ راتب . يهوي بكفه الغليظة على ظهور سيدات وفتيات فقيرات ، كيفما اتفق ، زاعقا فيهن كي ينتظمن في الطابور .

وفجأة ، يتناهى للأسماع بكاء بنت لا تتجاوز العاشرة . اعتزمت عفت شراء اثنين كيلو لحم من العشر

جنيهات . قد أوصاها أبوها طاهر بأن تحافظ على «الورقة أم عشرة» . الورقة سرقت ، ربما .. أو سقطت من يدها، لا تدري .

صوت سيدة :

ــ ابحثي في جيوبك ..

تسابقت العيون في فحص مواطيء الأقدام . صوت هامس :

ــ يبدو أنها سرقت .

علا صوت راتب :

ــ احترسوا الزحام . كل واحد يأخذ باله .

بكاء متواصل . لأول مرة تمسك بورقة مالية كبيرة، ولأول مرة تضيع منها النقود . كيف تواجه أباها ؟، ماذا تقول ؟ كيف تتصرف ؟ لم تقو على التفكير في شيء . ارتكنت إلى حائط ، وواصلت بكاءها المصحوب بالنشيج. خيم صمت وقور على الطابورين ، عيون الواقفين محدقة في غفت ، ملؤها الاشفاق والرثاء .

يعلو صوت عبد الرحمن من طابور الرجال :

ــ فلنجمع للبنت ما نقدر عليــه • انظروا لحالها ، الصبية الغلبانة ••

وبسط منديله الأبيض على راحة يده • بدأ بنفسه ، فأخرج ورقة فئة الخمسة والعشرين قرشاء تبعه آخر بورقة مماثلة • تمتد يد فتاة بعشرة قروش • انقطع المد فترة ، ثم عادت الأيدي تقــدم المساعدة ، بتردد في البداية ، ثــم بحماس حيث تقاطرت الأيدي من كل اتجاه • صوت عجوز يحــذر :

ــ أتصدقون الصبية ؟•• هل يمكنها أن تحمل عشرة جنيهات كاملة ؟

صوت آخر يؤيد :

ــ ربما هي محتالة • الاحتيال فنون •

احتد صوت قوي :

ــ انظروا إلــى الفتاة البائسة • أمثالهــا لا يفطنون لحيل اللصوص والنشالين •

صوت العجوز يردد :

ــ لابد أن وراءها عقل مدبر.هي مجرد أداة في أيدي عصابــة .

صوت شاب ملتح يرد على العجوز ساخطا :

ــ هــذه البنت أعرفها ، إنهــا عفت بنت عم طاهر ، صاحب كشك السجائر .

يؤيد كلامه صوت ثان :

ــ عم طاهر رجل نقي القلب .

تدافعت الأيدي واضعة النقود في المنديل . ثم جمع عبد الرحمن ما في المنديل ، ورفع عقيرته معلنا :

ــ جمعت تسعة جنيهات ونصف .

صاح صوت :

ــ يكفي هذا المبلغ .

رد آخــر :

ـ يكون أفضل لو أكملنا العشرة جنيهات .

مازالت البنت تبكي ، غير مكترثة بما يدور حولها .

أضاف عبد الرحمن خمسين قرشا . ويدنو من عفت، يحاول أن ينقدها المبلـغ ، فيعلـو صوت بكائها ، ولا تمد يدها . يأتي عم طاهر ، يتفهم ما حدث . مـا إن تمتد يد ابنته ، حتى يعترض بكفه ممسكا بيدها .

ـ لا يا أسـتاذ . يعوض علينا ربنـا . لا .. أنا لا أتسـول .

ـ ليس تسولا .

ـ وأرفض المعونة .

يقولها متأثرا . خفت نشيج الصبية . تحول بكاؤها الى أنين مكتـوم ، وشهقات حزينة .. عم طاهر يطيب خاطر ابنتـه ..

ـ اهدئي يا عفت . ضاع المبلغ ، ولكن .. لا تأخذي معونة ولا تتسولي . إياك ، هـذا أمر محزن .. جدا .. أكثر حزنا من ضياع المبلغ .

دهش الواقفون المتحلقون حول عم طاهر .. وأصيب عبد الرحمن بحيرة أربكته ، فماذا يفعل بالمبلغ الذي جمعه من الناس؟ يتجه الى راتب ، بصوته الجهوري :

ــ أعطني المبلغ ... أسلمه لجمعية خيرية .

يندفع صوت :

ــ وتأتي بايصال .

ــ بالطبع .

ويندفع صوت ثان :

ــ ومن يعلمنا بالإيصال ، بعد أن ننصرف من هنا ؟

وتقول سيدة بصوت حاد :

ــ كل واحد ، يسترد ما دفعه .

ويرد صوت يتقرب لراتب :

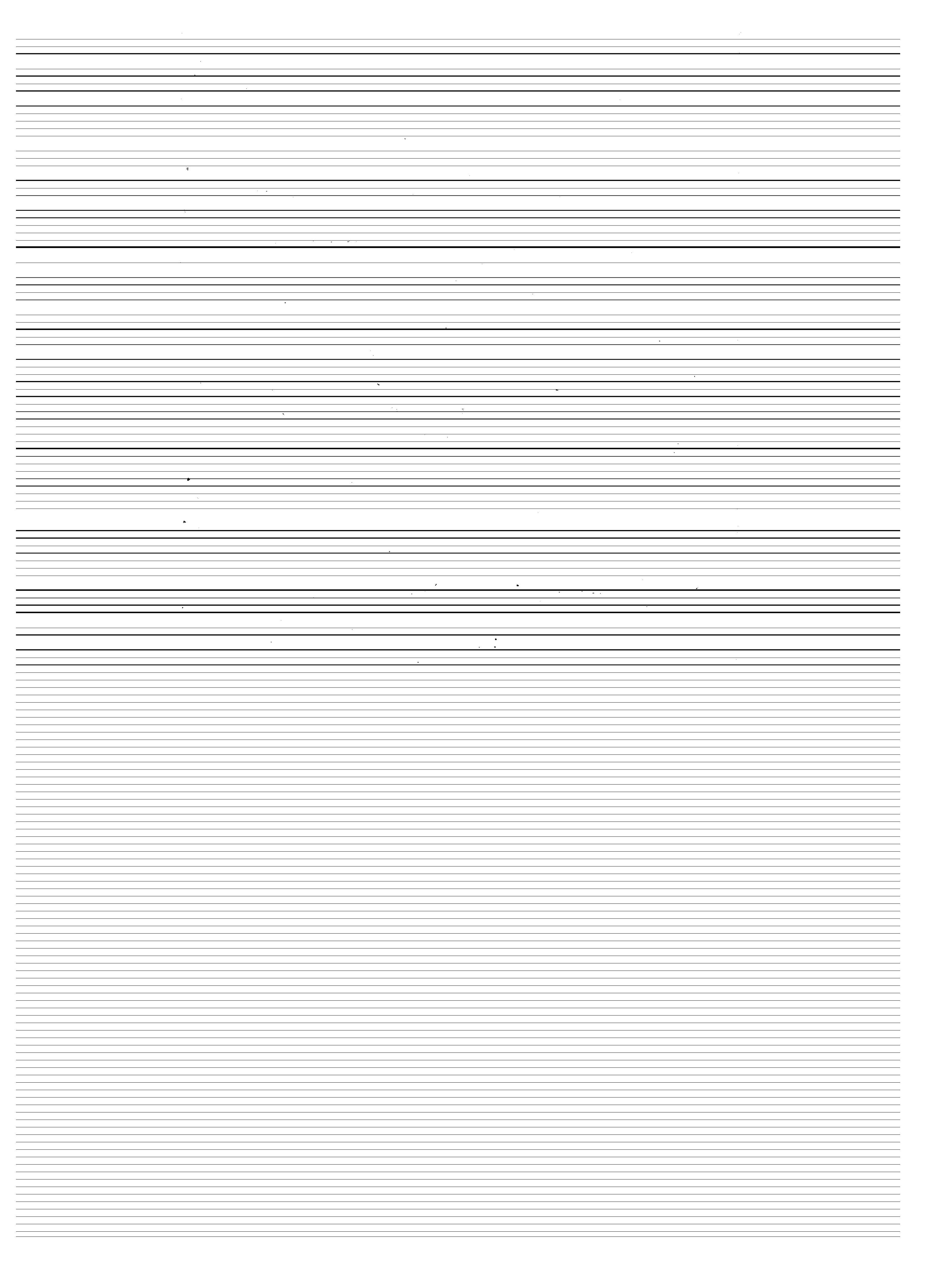
ــ الأستاذ راتب معروف بالورع والتقوى .

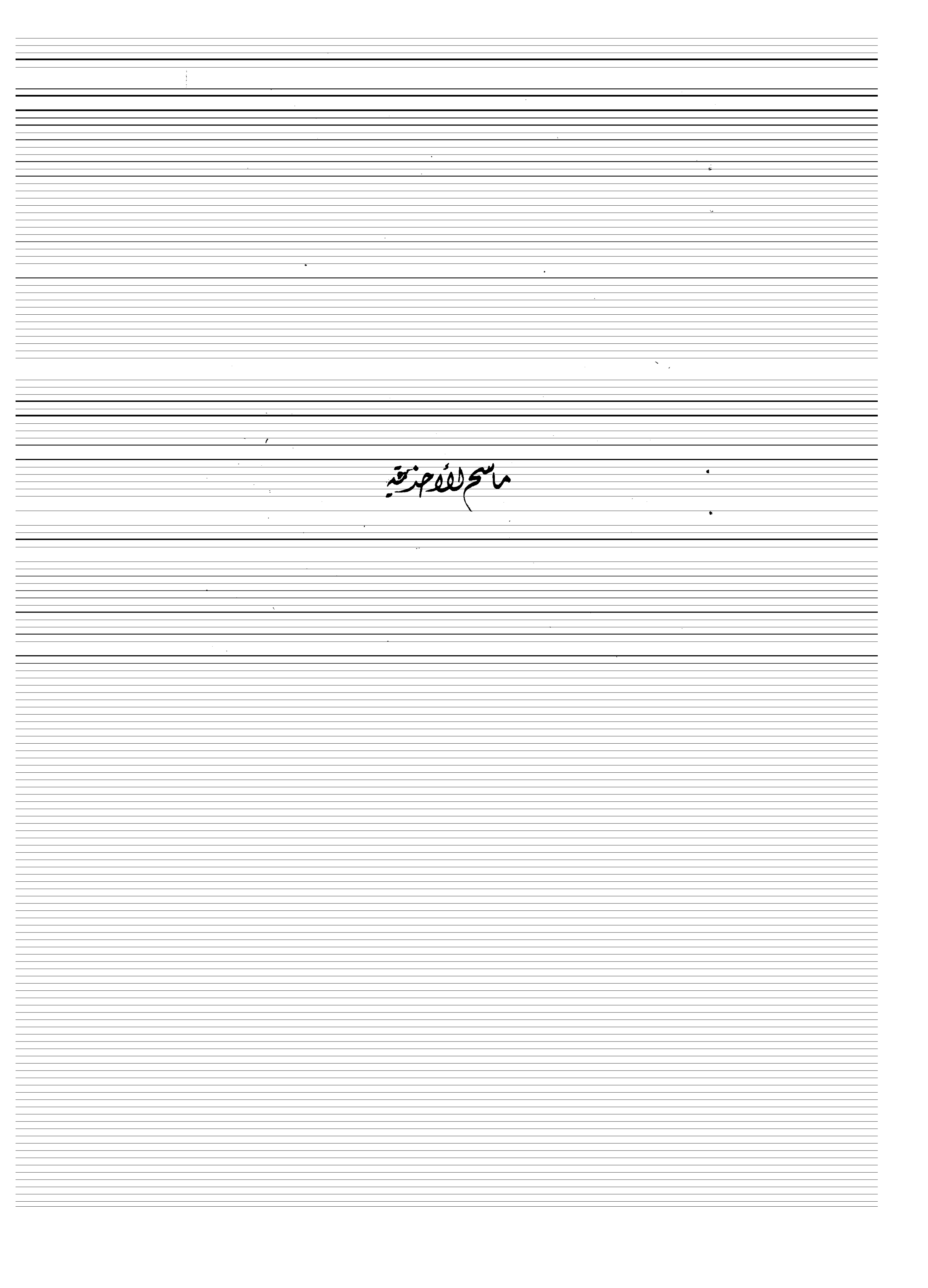
ــ هذه أموالنا .. دفعناها من أجل البنت المسكينة .

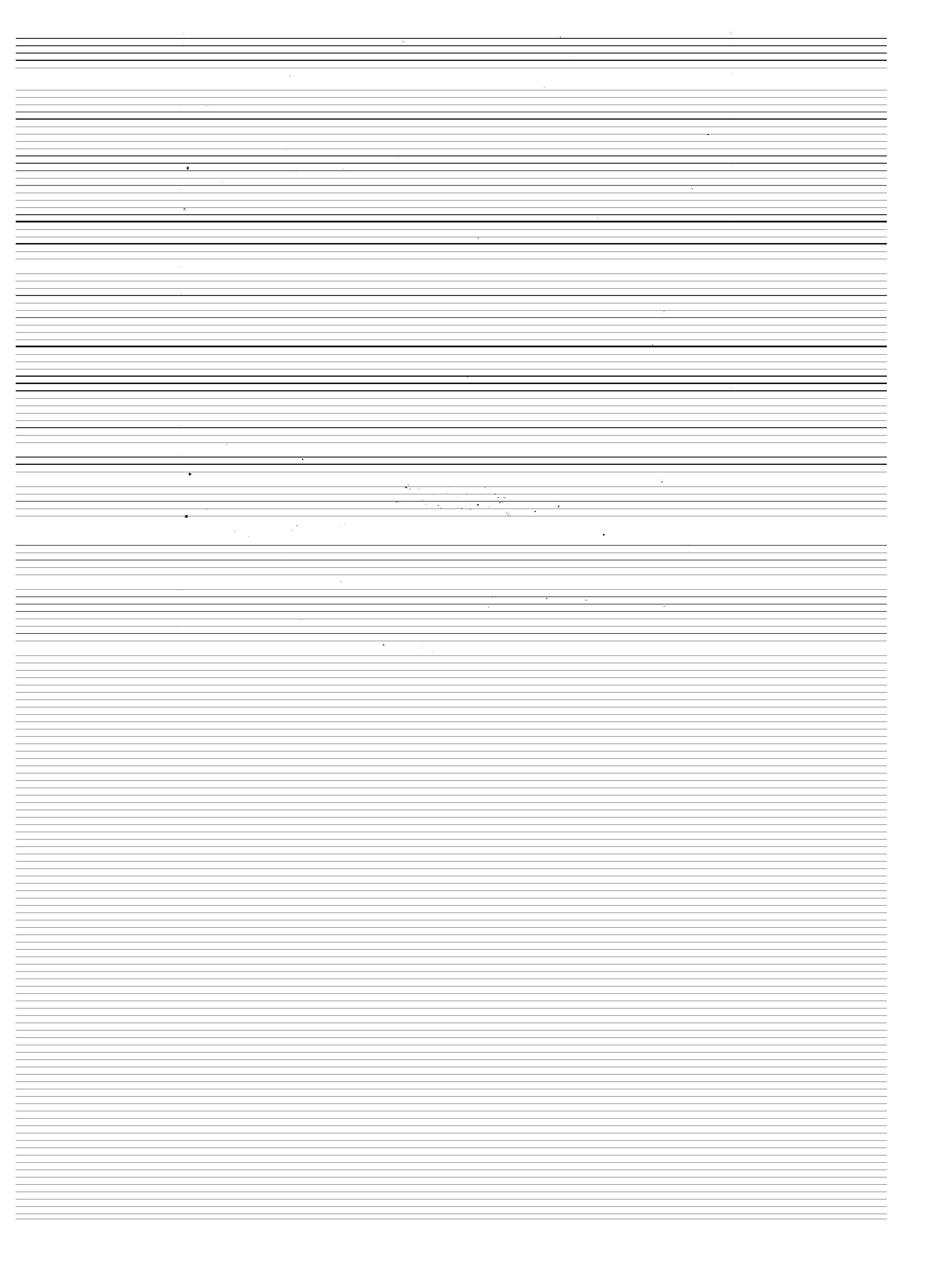
طال الحوار والجدل ، بينما استقرت الجنيهات العشر في جيب راتب . عم طاهر يقف مع ابنته ، يهدىء انفعالها . لكن عفت مازالت تفطم حسها على البكاء ، ولا تدري شيئا من أمور الحياة ، سوى أن الورقة الضائعة الوحيدة في جيب أبيها ، وكان قد تحدث مع أمها ، عن اعتزامه شراء حذاء من « الورقة أم عشرة » ... بدلا من الحذاء البالي الذي تنتعله قدماه .

يناير ١٩٨٢






ماسح الأحذية



ماسح الأحذية

أصبح انسانا جديدا . تغيرت نظرتــه الناقمة . قــد أمتعه الفيلم ووجد فيه نفسه ودنياه . يحكي الفيلم قصته هو . كأن مؤلفــه استلهم واقعه . وهــذا البطل ، مدحت الأمير ، كان مقنعا جدا في دوره العظيم ، ماسح الأحذية.. يفترش ركنا مثله لينام فيه . أحلامه تشبه تماما ما يتمنــاه ويرغب . شحنة وجدانية أشاعت الدفء في نفسه . حرص على مشاهدة الفيلم مرة أخرى . قال لنفسه : مدحت الأمير ممثل كبير ، ولابد أنه لمحه ، أو أنه بدأ حياته معدما مثله، وأعوزته الحياة إلى أن يعمل ماسح أحذية . لابد أن شيئا من هذا مر في حياة الممثل الكبير . وأحس بوشيجة تربطه به . صلة قربى ، أو صلة معرفة . لا يمكن أن يجيد الممثل دوره بهذا الاتقان ، إلا إذا عاشه أو شاهد صاحبه الحقيقي،

أو عانى مثل هذه الظروف • لم يكن فيلما مرحا ، وإنما فيلم انساني عن ماسح أحذية تقاذفته أمواج الحياة ، فصارعها وقاومها ، وعاش حياته التي رسمها الله ، قانعا غير ساخط على شيء • قد تغير شيء في نفس متولي • أحس أنه آدمي ، وأن له مشكلة تهم الرأي العام ، بدليل عرضها على الشاشة •

أودع صندوق الورنيش عند عكاشة صاحب محل البقالة ، وجلس على المقهى ، وأشعل لفافة دخان مع كوب شاي ••• وظل يمني النفس بلقاء الممثل الكبير • ود لو يجالسه أحد، يتبادل معه الكلام حول الفيلم وأمور الدنيا. لا يمكن أن يظل دوما سجين نفسه ، لا يبوح بمشاعره لأحد • وحين يلتقي بزملائه ، في المساء المتأخر ، يتحلقون في دائرة مفترشين الرصيف • ويتبادلون لفائف الدخان : والمزاح الذي لا يخلو من سباب وتهكم على أنفسهم وعلى خلق الله • يريد أن يغير مجرى حياته ، أن يجلس مع رجل (محترم) ، ويناقشه في مشكلة ما • أفكاره جاهزة وناضجة • إن ماسح الأحذية مواطن له كرامته •

يجلس بجواره رجل مهندم ، وقد دفن رأسه في الجريدة ، سأله متولي :

ـ كم الساعة ؟

ـ الخامسة والنصف .

حـاول أن يجتذبه في حديث ، فوجد صعوبة . عاني توترا بالغ الشدة وهو يتأهب لمحاورة جاره (الافندي) . ماذا يقول ؟ أي حديث يتجاوب معه ؟ أحس أنه يتعارك مع نفسه ، التي راهنها على كسب الجولة . قضى عـلى صمته القاتل ، وسأل :

ـ هل شاهدت فيلم (ماسح الأحذية) ؟

لم يتحرك الرجل قيد أنملة . يبدو أنه لم يسمع . لكن صوته كان عاليا ، ربمـا هو يهمله ، يحتقره . أغاظه الموقف . خذله الرجل ، الذي مازال منهمكا في قراءة بقية سطور ، ثم أغلق الجريدة ، وطواها . ونظر إلى متولي من خلال عدسات النظارة السميكة . أحـس متولي بغلطته . لابد أن يقدم له نفسه . وتهيأ لسماع كلمة تأنيب . الرجل معذور . ليـس من اللائق أن تتوجه لشخص لا تعرفـه بسؤال ، كأنك تعرفه ! لكن الرجل قال :

ـ أظن أن بطله مدحت الأمير ، ممثل عظيم • لكنني لا أدخل السينما إلا نادرا •

ـ ليتك تشاهد الفيلم • أنا شاهدته أمس • فيلم رائع • تصور ، أنا بكيت كثيرا •••

واسترسل • الرجل منصت لا يعقب بكلمة • أعجب متولي بالرجل الذي أصغى له • ولما أفرغ كل ما في جعبته، تودد إلى الرجل قائلا :

ـ ما اسم الأستاذ ؟

ـ خيري عبد الحميد •

ـ أهلا وسهلا • وأنا متولي سلامة •

لأول مرة ينطق اسمه الثنائي • أحس أن المجتمع يوشك أن يرد له اعتباره • لم يكن يلفظ اسمه الأول لأحد، سوى بين أصدقائه ، ينادونه بمتولي ، أو (بلية) إن أرادوا المزاح معه • سأل الرجل المهذب :

ـ ماذا تعمل ؟

تململ في إجابته .

ـ أعمل في مصنع .

ولم يشأ أن يضيف . خشي أن يطلع الرجل على مهنته الحقيقية .

عاد من المقهى رافعا قامته ، واضعا يده اليسرى في جيب سرواله . لكنه سرعان ما أخرجها ، تحت ضغط احساس داخلي بأن وضعه هذا ملفت للنظارة . كما أنه لا يتناسب مع سرواله الذي لا لون له ، وبه آثار رتق لقماشه البالي . والفضل لزوجته جليلة ، التي تجعل ثيابه لائقة على قدر ما تستطيع .

إلى أين يتجه ؟ - أيتوجه إلى عكاشة البقال، أم يرجع إلى زوجته ؟ قادته خطاه إلى زوجته الجالسة على ناصية الشارع ، وأمامها شواية الذرة ، وبيدها مروحة من ريش الطيور ، تدفع بها الهواء إلى قطع الفحم المحترق . افترش الأرض جوارها مبتهجا سعيدا . لم تعد جليلة بجاهلة سر سعادته ، إنه الفيلم ، حكاه لها غير مرة . واليوم قص عليها لقاءه بالأفندي على المقهى ، وأفاض في سرد ما دار بينهما من حديث . قالت له :

ـ يبدو أنك أعطيت نفسك اجازة .

ـ ألا تريحينني يوما من العمل ؟،

ـ لعلك تظفـر بسكسب معقول . اليوم الجمعـة ، وحركة الناس كثيرة . أم أنك تطلب الراحة في يوم مضمون قرشه ؟ .

غمغم ، في غير راحة . ثم انصاع لقولها ..

ـ استعنا على الشـقاء بالله . سأذهب إلى عـم عكاشة . وإن تأخرت ، لا تقلقي . وكان يوما مربحا ..

وفي وقت متأخر من الليل ، تحلق مع أصحابه ماسحي الأحذية على الرصيف ، في ركنهم المعتاد . واقترح عليهـم أن يشاهدوا الفيلم معه . فاتفقوا على الذهاب في اليـوم التالـي .

ذهب مع أربعة من أصحابه . وكلما أعجبهم مدحت الأمير في موقف أو تصـرف أو كلمـة ... ألهبوا أكفهم تصفيقا ، وقلدهم رواد السينما . وفي العودة ، قال متولي:

ـ أود أن أرى مدحت الأمير شخصيا .

ـ يا سلام .. من أنت كي يلقاك ؟.

ـ أنقل له اعجابي بفنه وتمثيله .

ـ المعجبون والمعجبات بالآلاف .

ـ الدور الذي قام بتمثيله ، يطابق دوري في الحياة تماما . قد أتقن الدور كأنه أنا .

ـ ولو ... مدحت الأمير يمثل عشرات الأفلام .

ـ لكني مصمم على رؤيته . سيفرح لهذا ويبتهج حين يراني .

ولم يصدقه أحد . توجه إلى زوجته وقال لها نفس الشيء ، فانتهرته ونصحته بنسيان الفيلم وحكايته . لأنه منذ شاهد الفيلم ، يتحرك متكاسلا حيث رزقه ورزق زوجته التي لم تنجب بعد .

ـ انتبه يا متولي لأكل عيشك .

ـ لن يهدأ لي بال إلا إذا رأيته .

ـ ماذا تريد منه ؟

ـ أبعث إليه بتهنئاتي وتهنئة كل الزملاء • وأعبر عن اعجابي بفيلمه •

ـ هو ليس في حاجـة إلى اعجابك ، آلاف المعجبين والمعجبات من علية القوم قد أشبعوه من هذا الكلام •

ـ بصفتي ماسح أحذية ، انفعلت بالدور • لقد عبر عن أحاسيسي الخفية ، ونجح في أداء الدور • هذا الكلام جديد بالنسبة له ، لاسيما أنه صادر من بطل حقيقي ، من ماسح الأحذية متولي سلامة ، الـذي أعوزته الحيـاة أن تمتد في وجهه أحذية الناس ، فيعمل على تنظيفها وتلميعها بنفس راضيـة •

داعب النـوم أجفان جليلة ، اثر عملها المرهق أمـام شواية الذرة ، فأطبق الجفنان ، وراحت في سبات عميق ••

حمـل متولي صندوقه ، وقـام بجولة في شوارع القاهرة ، في المنطقة المحددة له من قبـل زملائه • فلكل واحد منهم منطقة لا يتعداها حتى لا يجور أحد على نصيب الآخر ، وقنعوا جميعاً بهذا التقسيم الودي •

أمام سينما (النجوم) جمهرة غير عادية • دفعه الفضول إلى الاقتراب • لاسيما أن الملصقات على واجهة السينما ، تجتذب الناس إلى فيلم جديد لمدحت الأمير • انتهى عرض (ماسح الأحذية) ، وهذا فيلم آخر من أفلامه الممتعة واسمه (النصاب) • انسل مخترقا الكتل البشرية المتراحمة ، محاولا الوصول إلى العربة الفخمة التي تزاحموا حولها ، فإذا بمدحت الأمير ، الممثل القدير ، بشحمه ولحمه ، قد جاء لحضور حفل الافتتاح • أصر متولي على الاقتراب منه • هذه فرصته • وانهال يدمي كفيه بتصفيق متواصل ، فانساق المتجمهرون يصفقون مثله • نزل من عربته مرتديا بدلة أنيقة ، وبدا لمتولي شخصا آخر غير الذي رآه على الشاشة • رائحة العطر تفوح منه • ابتسم محييا الجمهور بابتسامة صغيرة • وتدافعت الأيدي تحييه ، فرفع يديه قليلا ، مشيرا بهما إلى أنه يحيي الجميع • لكن متولي سلامة ، أراد أن يحييه بطريقته ، فاندفع نحوه ، غير عابيء بملابسه المتسخة بالورنيش ، محتضنا إياه في حركة مفاجئة • كان متولي سلامة منفعلا ، يحاول تقبيل الممثل الذي عبر عن آلامه ومواجعه • لكن الأيدي جذبته بعنف • تأفف مدحت ، وبدا عليه الضيق الشديد • بينما متولي ينكفيء على الأرض • ويأتيه صوت يزجره :

ــ ألا ترى منظرك ؟

تركوه ، كمّاً مهملا ، يتحسس مكان الكلمات . بينما تدافع الجميع نحــو مدحت ، يطيبون خاطره ، ويعتذرون لــه !

تراجع متولي إلى الوراء نادما . شعور بالقهر يجعله لا يقوى على الكلام . شيء في أعماقه قد تداعى . ومدحت الذي يراه ، ليس مدحت الذي عرفه . هل يتلوّن الناس ويتغيرون بهذا الشكل ؟ أحس بالفارق الكبير بينه وبين هذا الممثل . هل خدعه مدحت باتقان دوره ؟ وتذكر كلمة قالتها زوجته المريضة دوما بصدرها :

ــ كل الحكاية ، تمثيل في تمثيل .

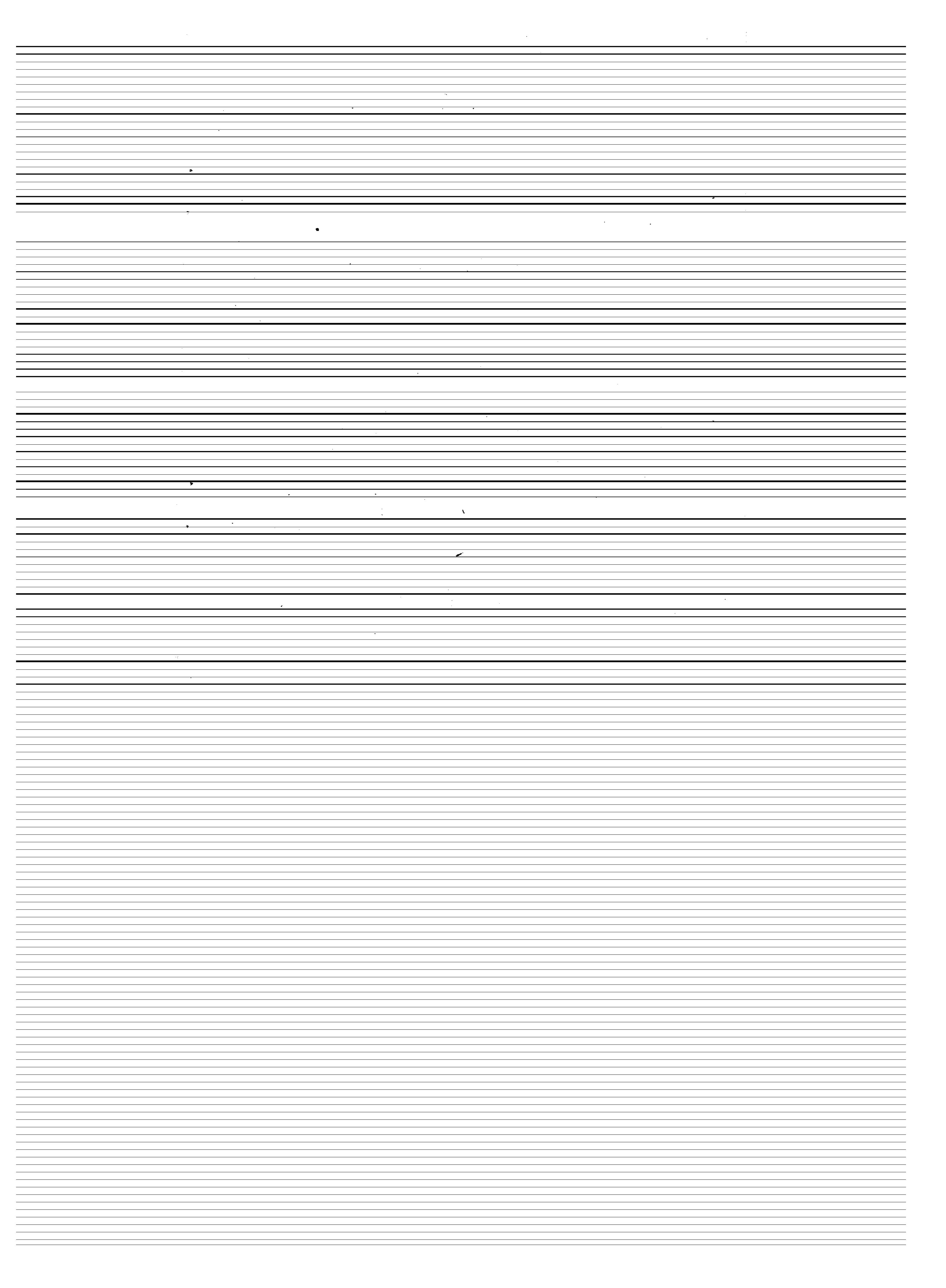
وكل الكلام المختزن بداخله ، والذي أراد أن يقوله لمدحت ، ذابت معانيه ، تلاشت حروفه . اهتز البناء الجميل الذي شيده في ليلة حالمة ، وارتد إلى واقعه مصدوما .

ابتعد عن الزحام والأضواء ... ابتعد أكثر فأكثر..

حتى غاب في جوف الظلام ، حتى صـــار شبحا هائماً ...
حتى صار هيكلا لا يهتم به أحد ... تنظر إليه العيون ،
كل العيون ، ولا تراه !

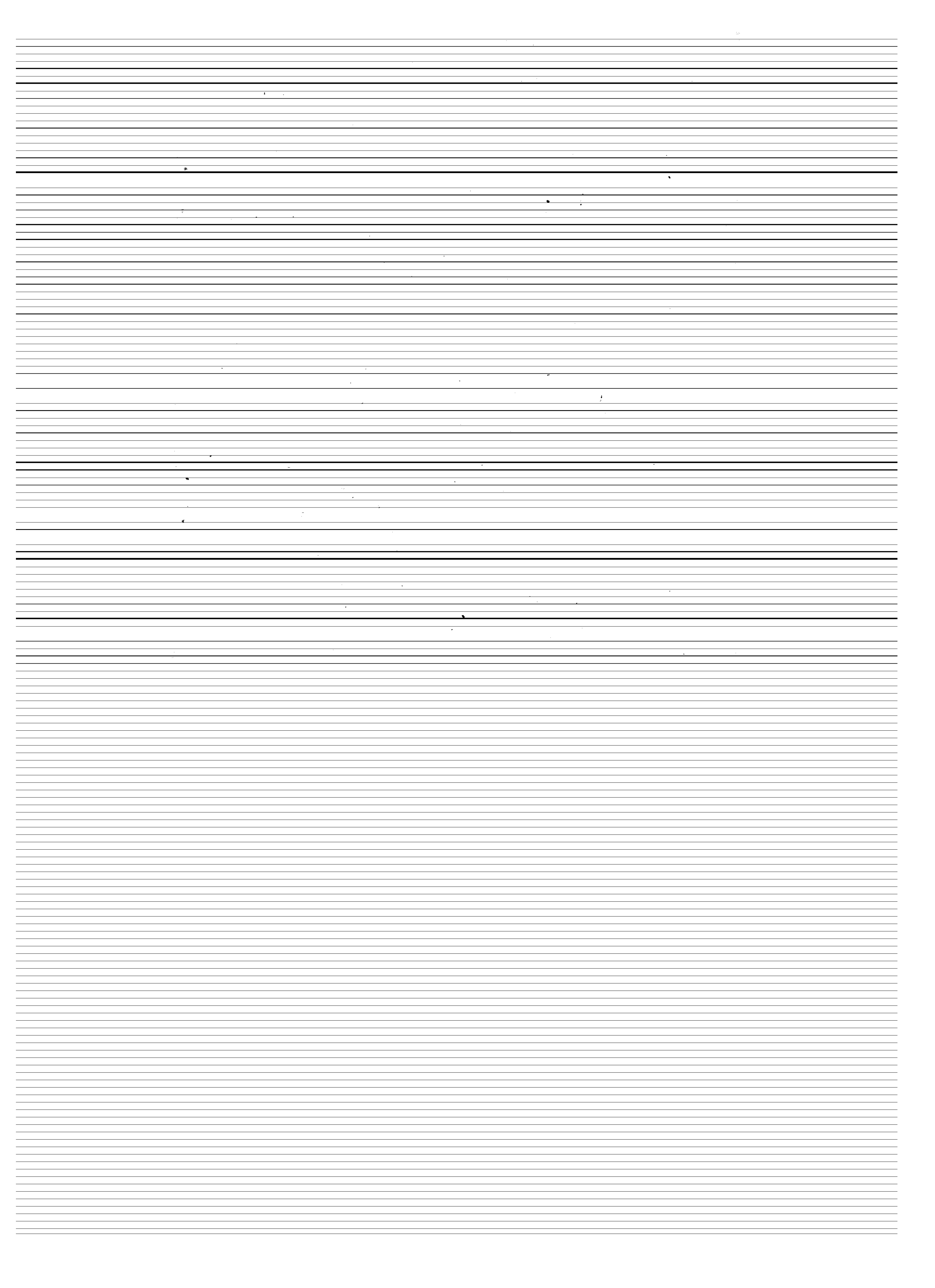
سبتمبر ١٩٨٥







الطفل والعربة الصفراء



الطفل والعربة الصفراء

اشرأب الطفل ، رانيا إلى اللعب الجميلة المعروضة خلف حاجز زجاجي . اللعب جميلة . اللعب أشكال وألوان . عربات وقطارات وطائرات ، وعرائس أيضا ..
أغرت طفلنا إلى المكوث وقتا طويلا . يغادر البيت بمفرده، يخطو خطوات قليلة ، قاصدا محل عم سيد . كثيرا ماكان يمر بصحبة أمه . تمسك بيده ، تستعجل خطاه ، تنهره ولا تعطيه فرصة للفرجة على شيء . كثرت أسئلته فيما تتطلع إليه عيناه ، فتجيبه الأم دون أن تمل من تكرار نفس السؤال .

أحس اليوم بمتعة حقيقية ، إذ استطاع الخروج بمفرده . قصدته لشراء ملبس من محل ملاصق للبيت ،

فتجرأ وخطا خطوات أكثر حيث محل عم سيد • دخل واقترب منه ، مادًّا يده بالشلن ، وطلب لبانا • قد تغضب أمه ، لكنه يحب اللبان ، يظل يلوكه في فمه مدة طويلة ، يمضغه ويمد أصبعيه إلى فمه ليمسك باللبانة ويعمل على استطالتها كالخيط الممدود • أمه تتضايق لاتساخ يده وفمه، والتصاق اللبان بملابسه ووجهه •

ولما عاد إلى أمه ، حكى لها ما فعله • كان فرحا • قال لها والفرحة الصبيانية تزغرد بصدره :

ــ ذهبت إلى محل بعيد ، وحدي •

واستغرق يصف اللعب الجميلة • وقال لأمه :

ــ أريد اللعب كلها •

ضحكت وقالت :

ــ عم سيد لن يعطينا كل اللعب • اختر لعبة واحدة •

ظن الطفل أن عم سيد سوف يعطيه اللعب كلها ، إذا طلبت أمه ذلك • أفاق الطفل من شروده على صوت أمه :

ــ كل لعبة ، لها ثمن •

ولم تقل له ، أنها لا تستطيع شراء لعبة واحدة ، فالمال على قدر الأكل والشرب وسداد الضروريات . منذ طلقت من زوجها ، وهبت نفسها لطفلها الذي لم يتجاوز الخامسة من العمر .

اختلفت مع زوجها لرغبتها في الحصول على شقة أوسع ، بدلا من الغرفة الواحدة الضيقة . ولم تطمع في شيء آخر . قالت له :

ـ يكفيني شقة بحجرتين .

وحاول زوجها ، وفشل . احتدت المنازعات بينهما وانتهت بالطلاق . وصممت على ألا تعود إليه ، وأن تهب نفسها لتربية طفلها في هذه .. الغرفة الضيقة !

قصد المحل في اليوم التالي ، بعد إلحاح ومعاندة ، متعللا بشراء « حاجة حلوة » . أعطته الشلن ونصحته بألا يتأخر ، و « أن يأتي بسرعة » . اجتذبته عربة صفراء اللون كبيرة . أعجب بمنظر السائق الجالس على كرسي القيادة ، خلافا لباقي العربات الصغيرة المعروضة . أعجب أيضا بالكتابة المطبوعة على العربة بحروف كبيرة وصغيرة . هو

لا يعرف القراءة بعد ، لكن الكتابة جعلته يعجب باللعبة . حين يأخذها من عم سيد ، سيطلب منه أن يقرأ له هذ. الكلمات . عجلات العربة كبيرة ، ونوافذها كثيرة ، تظهر منها المقاعد التي بداخلها . أعجب بالعربة لأنه يرى ما بداخلها من تفاصيل . حين يخرج مع أمه ، سيشير إلى العربة كي تطلب من عم سيد أن يعطيها له . قد وعدته بذلك ، طالما هو يختار لعبة واحدة . تكفيه العربة الصفراء ولا يريد غيرها . وبعد أن يأخذها من عم سيد ، سيحاول بنفسه أن يحركها . كيف تتحرك العربة ؟ لابد أن أمه تعرف . سيحاول فتح أبوابها . كيف تفتح الأبواب ؟ لابد أن أمه تعرف .

نادى عليه عم سيد :

ـ تعال يا منير . ادخل ..

ابتسم منير . ناوله الشلن وأخذ الحلوى . عاد فرحا يبشر أمه ، فقد اختار لعبة جميلة . استرسل يصف اللعبة. وعدته بشرائها وطلبت منه أن يدلها عليها . ألح كي تخرج معه الآن ، فاستمهلته إلى غد . وخلد إلى النوم ، فرأى في الحلم عربته الصفراء ، التي تجري بمجرد أن يضعها على

الأرض ، فيجري خلفها محاولا اللحاق بها . كان حلما جميلا . لكن دهش حين صحا من نومه فلم يجد العربة . وظن خطأ أن أمه خبأتها . عمل على إيقاظها . ولما سأل ، أوضحت له أنها لم تشتر العربة . أكد لها أن العربة كان يلعب بها الآن .. بكى وتصايح .. زاعما أنها في مكان ما في الغرفة . ولما يئس ، صمم على أن يبحث عنها بنفسه ، وسدى كانت محاولاته . أفهمته أمه أنه كان يحلم . كيف يحلم ؟ وما الحلم ؟ . كلمات لا يفهمها . قالت له :

ــ عندما نمر على المحل ، ستجد العربة معروضة .

ولم يهدأ بالا إلا بعد أن أرته العربة موضوعة خلف الحاجز الزجاجي ، لم تقربها يد . وشكرت الأم الله لأن اللعبة لم تستهو زبونا ، ولم يُعِدْ عم سيد تنظيم واجهة المعروضات ، ويأتِ بلعبٍ جديدة . ألح منير إلحاحاً شديدا لتدخل أمه وتشتري العربة . جذبته معنفة ، مبتعدة عن المحل حتى لا تُحرج . وأخذت تمنيه بالشراء في يوم آخر ، متعللة بشتى الحجج ، فلم يهدأ .

طلب شلناً ليشتري « حاجة » ، ولم يفصح عما يريد . أعطته الشلن عساه يهدأ وينسى ... انسلّ من بين يديها

واعدا إياها « أن يرجع بسرعة » كما قالت . وقفل عائدا إلى محل عم سيد . ولج ليجد عم سيد ينتظره بابتسامة ترحيب . مد يده بالشلن قائلا :

ـ أريد العربة الصفراء .

ضحك عم سيد :

ـ بشلن .. عربة بخمسة جنيهات..تشتريها بشلن؟.

ومزج كلماته بشيء من المداعبة . لكن منير أمسك بيد عم سيد وطلب منه الخروج ليريه العربة .

أعطاه ملبسا وقال :

ـ خذْ ملبسا ، ومرة ثانية أعطيك العربة ، عندمايكون معك ثمنها .

رجع إلى أمه وقد دس « ملبسة » في فمه ، ووضع الباقي في جيبه . رجع إليها وقد هُيِّيء له أنه سيشتري العربة عما قريب . سيعطيه عم سيد العربة إذا أحضرخمسة جنيهات . ولأول مرة ، يتعرف الصغير على الجنيه ، بعدما اقتصر تعامله على الشلن والبريزة . وأدرك أن الجنيهأكبر من الشلن . طلب من أمه خمسة جنيهات . وقال أنه

سيشتري بنفسه ما يريد . ولن يطلب منها أن تنزل معه . ماطلته وهادته ، ولم يدر لماذا تمنع عنه الجنيهات التي سيشتري بها العربة ؟ ولماذا عم سيد لا يعطيه العربة ؟ أفهمه عم سيد أن هذه خمسة قروش والمطلوب خمسة جنيهات . لماذا يفرق بين القرش والجنيه ؟ يستطيع أن يعطيه « كذا شلنا » . ألا يكفيه ذلك ؟ . وحاول من جديد مع عم سيد . ادخر أربعة شلنات ، وحرم نفسه من « الحاجة الحلوة » . لكن عم سيد ، في هذه المرة ، أجلسه على النضد ، وأوضح له أن اللعبة بمائة شلن . وعلمه طريقة العد من واحد لمائة . أحس الصغير أن المائة كبيرة .. بكى .. لان قلب الرجل ، فأخرج العربة من مكمنها ، ليلعب بها قليلا ، وبالمجان ، كما قال له .

انفرجت أساريره . بدأ يحرك الزمبلك كما علمه عم سيد . ويضع العربة على أرض المحل فتجري ويجري معها في حلقات دائرية ، على فمه ضحكة وفي قلبه نشوة . كان سعيدا وسعد معه عم سيد . طلب منه أن يعيد اللعبة ويرجع لأمه حتى لا تغضب .

عاد إلى أمه سعيدا ، وقد شملته فرحة طاغية ، وقال لها كلاما جميلا عن اللعبة وعن الرجل الطيب .

أحب منير عم سيد كثيرا ، في كل يوم ، يتجه إلـى المحل ، ويهجر جيرانه من الأطفال ، صادقـه عم سـيد ، واستضافه كل يوم ، يناوله العربة قائلا :

ــ خـذ يا منيـر .. العب بهـا ثـم أعدها لي .. لتستريح ..

واقتنع الطفل أن العربة لابد أن تستريح ، واعتبـر ذلك وضعا طبيعيا ، بأن تبقى العربة خلف الحاجز الزجاجي . ولما شاء عم سيد أن يضعها في مكان آخر ، لتكون قريبـة من يده ، بدلا من فتح الواجهة الزجاجية كل يوم ، أصـر صديقه الصغير على وضعها في مكانها ، فامتثل ، والفرحـة لا تسعه ، يبدو أن منير قد صار بمنزلة ابنه ، أرسله الله ليعوضه عن حرمانه من الإنجاب . اعتاد أن يستقبل الطفل الحبيب بقبلـة ويودعه بأخرى . يشـاغله من وقت لآخر بالملبسات، سواء كان معه شلنا أو جاءه خالي اليد والجيب . أحب منير وباح لأمه بهذا الحب :

ــ أنا أحب عم سيد ..

وشرح لها بلثغته المحببة لماذا يحبـه ، وطلب منها أن تحبه مثلـه .

وذات يــوم ، تزحلق منيــر على الأرض وأصيب في قدمه ، ووضع الطبيب قدمه الصغيرة في الجبس . جلست الأم بجانبه حزينة . حاولت أن ترفه عنه ، وتزيل الحــزن الذي خيم عليه . كثرت شكواه من عدم قدرته على المشي ، وأن عم سيد سيغضب منه . وما أكثر سؤاله عن عربتــه الصفراء ، وخوفه من أن يأخذها أحد من عم سيد . بينما تؤكد له أمه أن العربة في انتظاره ، وأن عم سيد لن يعطيها لأحد . لكن منير لا يثق في كلمات أمــه ، وبكى .. بكى طويلا .. وطلب من أمه أن تحضــر العربة . إنه يستطيع أن يلعب بها وهو راقد على السرير . نصحته بأن يستريح وما هي إلا أيام قليلة ثم يمشي على قدميه . وسدى كانت محاولاتها . زهد الطعام وعافته نفسه ، سأل منير :

ــ لماذا لم يزرني عم سيد ؟

طيبت خاطره . الرجل مشغول بالبيع والشراء ، ولا يستطيع أن يترك دكانه ، ولما خابت مساعيها ، اقترضت من جارتها خمسة جنيهات ، وصممت أن تشتري العربة ، ترضي بها ابنها وتدخل الفرحة والبهجة إلى قلبه . هرعت فرحة إلى عم سيد ، صدمها بمــا قال . أتاه زبون واشتراها .

عرض عليها لعبا أخرى ، لكنها تعرف أن طفلها قد تعلق بالعربة الصفراء • صدمت ثانية حين قال لها أنها الوحيدة، وليس عنده من نفس النوع واللون • رجعت إلى طفلها تحاول أن تحببه في لعب أخرى ، لكنه رفض وأصر على لعبته الأثيرة •

تأثر عم سيد لحال صديقه الصغير ، وكان يودزيارته، لكنه خشي من تأويل الجيران • واكتفى بأن يسألها عنه في غدوها ورواحها •

كما أنه ذهب إلى مركز التوزيع التجاري ، يسأل عن لعبة منير • لكن يا عم سيد البضاعة القديمة نفدت من عندنا • والشركة المنتجة طرحت لعبا جديدة • اتجه عم سيد إلى تجار التجزئة ، زبونا يبحث عن نفس العربة الصفراء • وظل يطوف ويطوف •• لم يمل برغم مرور أيام عديدة ، إلى أن عثر على ضالته في محل صغير ، يشبه محله ، وفي ضاحية نائية • نقد البائع ثمنها دون مساومة • ورجع سعيدا • لم يمهل نفسه ريثما تأتي أم منير ، هرع إلى مسكنها بفرح طفولي ، ضاربا عرض الحائط بالمحاذير، واثقا أن الابتسامة والفرحة في عيني منير ، ستسعد الأم

مثلما تسعده هو . ولم يصدق الطفل أن عم سيد آتٍ لزيارته ومعه اللعبة . أوسع وجهه بالقبلات وعانقه وطفق لسانه ينطق كلمات جديدة لم يقلها من قبل . لم يأخذ عم سيد ثمن اللعبة وأصر في الرفض . إنها هدية لصديقه منير .

اكتملت فرحة منير برؤية أبيه الذي لم يره منذ أكثر من عام . جاء يزوره بعد أن عرف بما أصابه . قال عم سيد للأب :

ـ لماذا لا ترجع لزوجتك ؟

ألقى سؤاله بعفوية ، دون تمهيد أو تريث . وما فكر في وقع الكلمات التي قالها مؤنبا معاتبا . وكان الأب ـ فيما يبدو ـ يود أن يتعلق ولو بقشة ، وينهي الانفصال ويعود إلى بيته . قال :

ـ أنا لا أمانع ، المهم ...

وأشار إلى زوجته . لكن الزوجة التي انتشت بفرحة مباغتة ، نهضت قائلة :

ـ سأعمل شـايا .

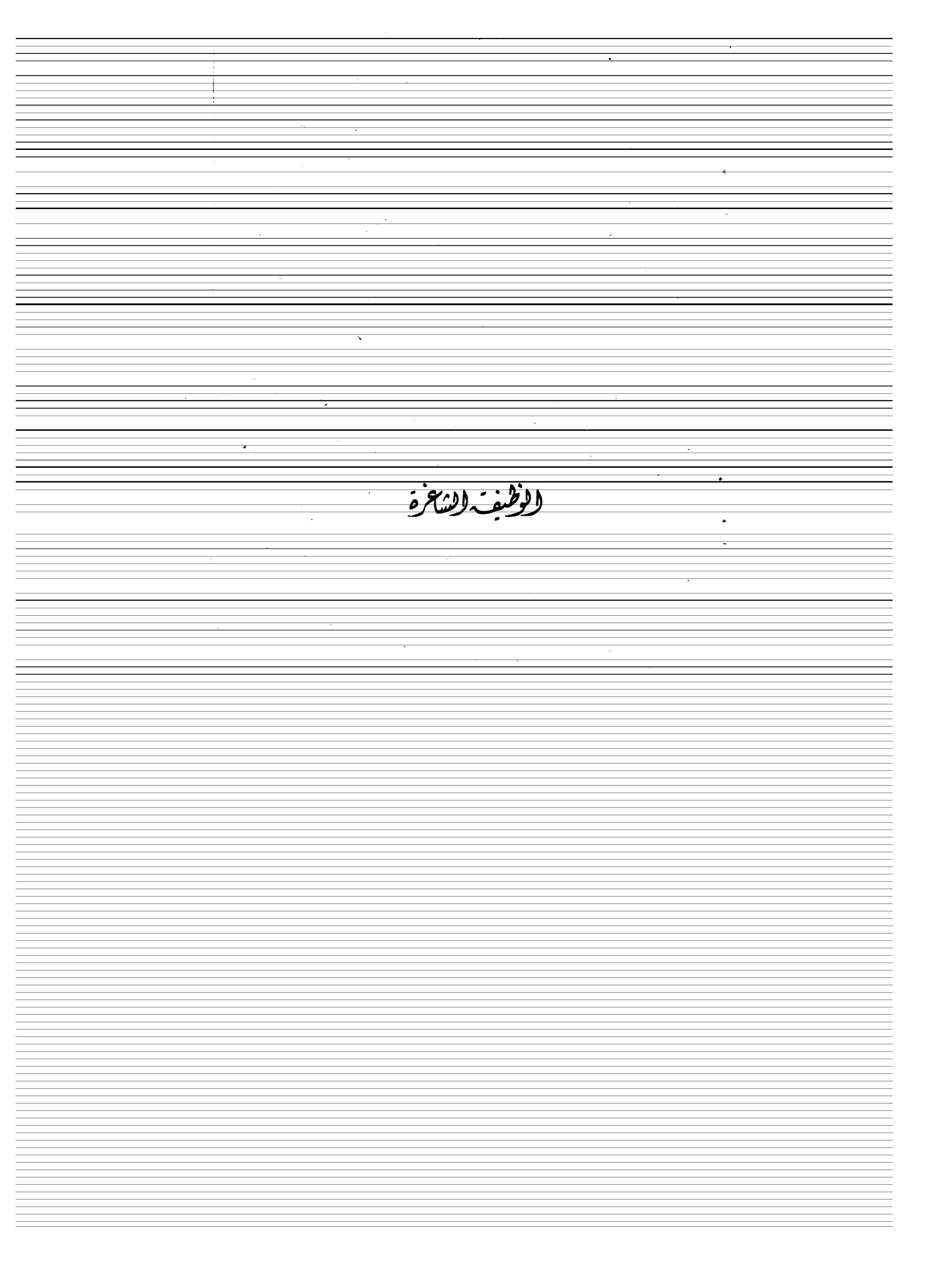
وفرح عم سيد ، فقد أحس بها تداري فرحتها ، فشد على يد الأب مصافحا مباركا .

قدمت كالوردة المتفتحة ، وفي يدها صينية الشاي. عيناها ترنوان إلى الرجل الطيب الذي أدخل السعادة إلى بيتها الصغير . قالت ممتنة :

ـ جزاك الله كل خير يا عم سيد .. ربنا يحبب فيك خلقه ..

فبراير ١٩٨٦





الوظيفة الشاغرة



الوظيفة الشاغرة

في أحد عنابر الانتاج ، حيث ينتشر العمال حول آلاتهم ، تولد صراع من نوع غريب . بدأ الصراع حين تغيّب كبير المهندسين فجأة ، دون أن يخبر أحدا . ومضت الأيام لتحمل للمعنيين بالأمر نبأ سفره إلى إحدى الدول الشقيقة . ووجد المدير الهادىء الطباع نفسه قبالة مشاكل الانتاج ، وتضارب الأعمال داخل أقسام إدارته ، فأحس بالإرهاق من الأعباء الاضافية التي فرضها عليه المنصب الشاغر ، علاوة على أعباء الإدارة والاتصال برئيس الشركة ونوابه .

سرت إشاعات حول شخصية المرشح لشغل هذا المنصب الحيوي . نركزت الإشاعات حول مهندسيْن يليان

كبير المهندسين ، همـا شعبان وفتحي . لم يستطع أحـد ترجيح أحدهما على الآخر ، فالاثنان أقدميتهما متساوية ، ومتخرجان في نفس العام . بـل كان الوضع الأكثر غرابة أنهما عينا في نفس اليوم ، كمـا أنهما تخرّجا في نفـس الكلية ، علاوة على الصداقة الحميمة التي تربط بينهما .

وتولد صراع خفي لشغل المنصب الجديد .

كانا يتقابلان ، فيتبادلان عبارات التحية والمـودة ، ولا يبدي أحدهما أية اشارة تكشف عما يستكن في طوايا نفسه . وإذا ما تفرقا كل إلى مجلس ، يعلن كل منهما أنـه الأحق والأجدر بأن يصبح كبيرا للمهندسين .

وكانت الإشاعات تسري بين العاملين ، كموج البحر، بين مد وجزر .. فمرة يكـون المرشح شعبان ، وتكون للإشاعة حجتها ومنطقها السليم ، ولها من القـوة ما يرجح شعبان على خصمـه . ثم ينقضي اليـوم ،ويصبح صباح جديد ، فإذا بفتحي هو المرشح ، وتروج الإشاعة مزكيـة إياه ... وهكذا مضت الأيام ، والكل متحفز لصدور قرار المدير .

شعبان رجل متدين ، ذو لحية كثيفة ، لا يغشى مجلسا إلا ويكون حديثه عن الدين ، ووجوب التمسك بأهدابه . وبدا بلحيته وقورا حتى أن زملاءه ، ومرؤوسيه ، يستفتونه في أمور دينهم ، فيجيبهم مغتبطا .

ولما أحس شعبان بالموقف الجديد ، أقنع نفسه بأن التردد على المدير كل صباح ، عارضا مسألة ما تخص العمل ، قد يشعره بأنه يسد نقصا كبيرا في العمل ، وقد يرى فيه الكفاءة لشغل المنصب . وأخذ يترصد حركات المدير ، وإيماءاته ، وتلميحاته ، ويحفظ كلماته عن ظهر قلب . ثم يجلس طويلا ليفسر ما وراء الكلمات . وطمأن نفسه إلى أن المدير الهادىء الطباع ينفر من فتحي المستهتر ، الذي لا يبالي بأمور دينه ، ناعماً بملذات الدنيا ، مباهيا بها ..

وذات مرة ، دخل شعبان إلى مكتب المدير فألفاه يؤدي صلاة الظهر ، فانبسطت أريحيته .. هو يعلم مدى حرصه على أداء الصلاة في مواعيدها ، لكنه وجدها مناسبة لتقريظه :

ــ حرما يا سيادة المدير . بهذه الصلاة يصير المكان

مباركا إن شاء الله . أسأل الله أن يعطيك العافية . ويجيبه المدير بالشكر والتحية .

اطمأن شعبان لارتياح المدير له ، حتى أنه لم يبال بما يقال لصالح خصمه .

أما فتحي ، فكان هو الآخر كثير التردد على مكتب المدير ، في الأوقات التي يخلو فيها المدير مع نفسه، ويجدها فرصة لإيهامه بأهميته ، ولولاه لتوقف الإنتاج . ويحكي له كيف واجه مشكلات عسيرة ، وقام بحلها حلا موفقا عاد على الشركة بالأرباح الخيالية . كما لا يجد بأسا من عرض خدماته على المدير . وكان يسخر من الأقاويل التي تتردد بأن شعبان هو المرشح ، وذلك اعتقادا منه بأن خصمه هذا قليل الحيلة والتصرف ، وهذه الخصيصة تضعف من نفوذه . وكاشف نفسه ، بأن انهماك شعبان في العبادة والفتاوى يعد مضيعة لوقت العمل . كما أنه يحرص على مقابلة المدير من وقت لآخر ، حتى يشعره بأهميته في انجاز الأعمال .

ظلت الإشاعات تتردد .. مزكية أحدهما ، ثم تنقلب

الكفة . فإذا الإشاعات تزكي الآخر . وهكذا تحركت الإشاعات ، كموج البحر ، بين مد وجزر .

وطالت الأيام ، حتى ظن الجميع أن المدير رضي بأن يظل المنصب شاغرا .

ومن جديد ، بدأ الصراع الخفي بين شعبان وفتحي، بين الصديقين الخصمين !.

خلا شعبان إلى نفسه ، بعد أن طال انتظاره لقرار المدير . وأيقن أن المدير ربما لا يرضى عن كل تصرفاته . وبدأ يتحسس لحيته الطويلة . ربما هي السبب .. نظر إلى المرآة ، فرآها أطول مما ينبغي . ربما يجد في هذه اللحية عائقا . حقا هو واثق من حسن ظنه به . ولكن ، ربما تحفظاته ترجع إلى هذه اللحية الطويلة . وإذا كان غير واثق من كفاءته ، فلماذا لم يرق خصمه فتحي ؟ وأكد هذا الهاجس أن اللحية هي السبب . وإذا قصرت اللحية قليلا ، فسيكون أقرب إلى المدير .. وفعلا قلل من طولها. وفي كل يوم ، يقف قبالة المرآة ، ويقنع نفسه بأن اللحية هي السبب ، فيقوم بتقصيرها أكثر من ذي قبل . وتمر

الأسابيع ، أسبوعا وراء آخر ، فيقرر شعبان في النهاية أن يتخلص منها ، كي يبدو وسيما ، ويصير بحق ندا لفتحي.

أما فتحي ، فقد تصرف على النقيض ، حيث أعاد التفكير في هذا الرئيس المتزن الهادىء . وارتأى أنه قد يفضله عن شعبان ، ولكن ما يسمعه عن لهوه واستهتاره ، قد يعطل القرار . يقف قبالة المرآة ، محدقا فيها ، مدركا أن وسامة الوجه ليست كل شيء ، فهو يتعامل مع مديرمن طراز فريد . فلماذا لا يطلق لحيته ولو قليلا ، ويؤدي الصلاة في مواعيدها ؟ وفعلا أطلق لحيته التي أخذت تستطيل يوما بعد يوم ، بينما تقصر لحية خصمه . وانقلب الحال ، فأصبح فتحي ذا لحية ، بينما تخلى عنها شعبان .

وسرت همهمة غير مفهومة بين العاملين ، كبارا وصغارا على السواء .

وحين يتقابل شعبان وفتحي ، يتندران لحالهما ..

يسأل فتحي :

ـ لماذا حلقت لحيتك ؟

ـ لأثبت للجميع أن الايمان مكانه القلب ، وما اللحية إلا مظهر للوقار فحسب ..

ـ وأنا أطلقها لأثبت للجميع أني لستُ عاجزا عن إطالتها !"

ـ نحن أشبه باثنين يتبادلان مقعديهما .

ـ لكن لحيتي أجمل بكثير من لحيتك .

ـ أنت مفتون بنفسك ، وهذا مرض خطير .

ـ أقر حقيقة ، وإلا ، فلماذا حلقتها ؟

ـ لأثبت للجميع أني وسيم .

ـ إذن فأنت الآخر مفتون بنفسك .

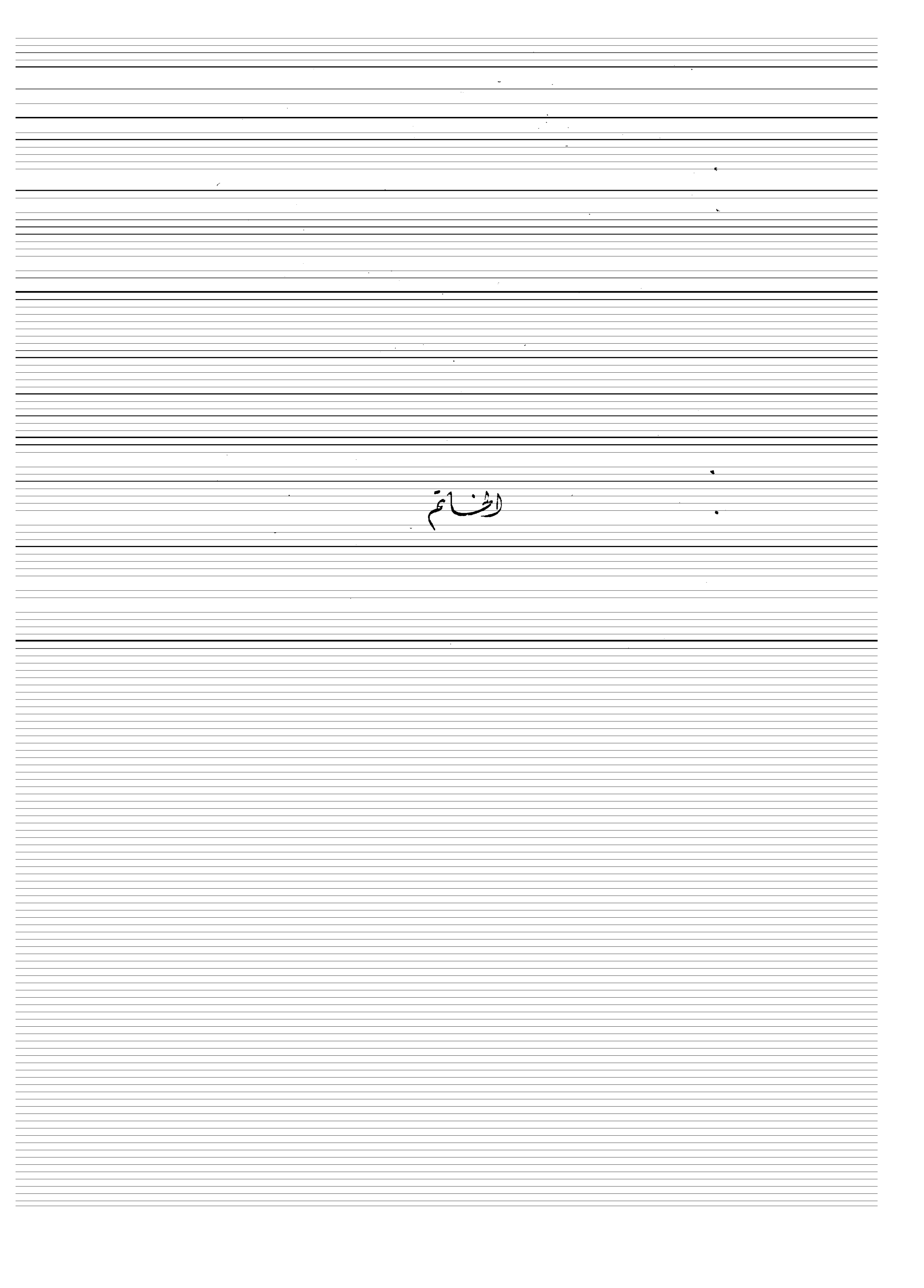
وظل الحديث المتبادل منصبا على تبرير سلوكهما ، الى أن جاءهما زميل ، وأنهى اليهما قرار المدير ... فقد وفد مهندس منقول من إدارة أخرى ، ليشغل منصب كبير المهندسين . وإذا بالوافد الجديد يستدعي الاثنين ، وينسق معهما العمل ...

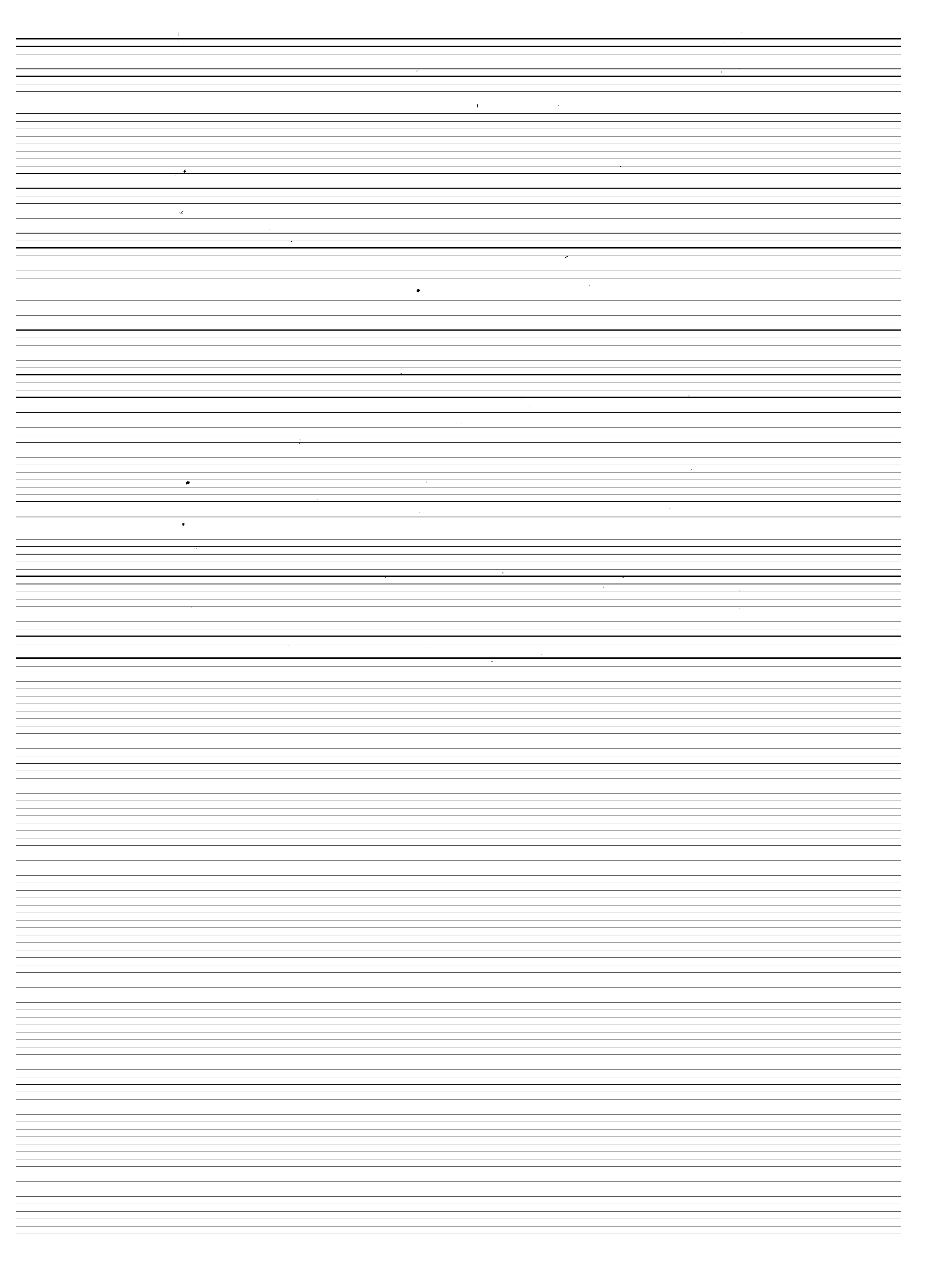
وسرت إشاعة بين المروجين بأنه تضايق لما آل إليه الحال ، وقال في غضب للوسطاء :

ــ إني أرى لحى تطول وتقصر .. وتثيرني الجلبة ولا أجد طحنا ..

ديسمبر ١٩٧٨

★ ★ ★


الخاتم



الخاتم

رتيبة هي الحياة ، بعد أن كانت جد مشوقة . لم تستطع لودميلا أن تثير الجديد في نفسه ، أو تبعث البهجة في عالمه . تزوجها منذ سنوات . كان مبعوثا مع زملائه . نشأت صداقة بينهما . جميلة ورشيقة . أسرته عيناها الزرقاوان ، وبشرتها البيضاء ، وشعرها الأصفر .. طلب الزواج فوافقت ، واشترط العيش معه في مصر فوافقت . لم يصدق نفسه ، كأنه يحلم .

أخلص لها . علمها العربية وعلمته الروسية . لم تختلف معه في شيء ، إنما توافقه على كل شيء . وفقت في عملها كسكرتيرة في مكتب مقاولات . وكان زواجه من أجنبية يعطيه نوعا من التميز بين أقرانه وزملاء العمل ، وفي محيط العائلة .. لولا خالته التي تقول دائما :

ـ ألم تجد في مصر كلها بنتا تصلح لك ؟

فيبتسم صامتا .. يعتبر خالته أمه الثانية . توفيت أمه في الصغر ، فاعتبرها أما تحنو عليه وتسدي النصح .

ثم أحس بحاجته إلى زوجة مصرية . أحس بحنين جارف لفتاة سمراء .. خفة الظل المصرية .. العينان السوداوان النجلاوان .. لا يدري كيف واتاه هذا الاحساس ؟. ربما لأن لودميلا أصبحت امرأة عادية ، وفقدت البريق الذي اجتذبه أول الأمر . لم تعد لودميلا أجنبية يعكف على تعليمها كل ما تجهل عن مصر . باتت تعرف كل شيء .. تشتري ما تريد من الأسواق ، وتتحدث بلهجة أهل البلد ، وكونت صداقات .. وتتحدث مع الآخرين بطلاقة .. وتتقن طهي الأكلات المصرية . لم تعد تختلف كثيرا عن المصريات ، سوى حرصها على السفر كل عام لرؤية أسرتها . لودميلا تفتقد الروح المصرية ، رغم تأقلمها . شيء في أعماق عادل ينغص حياته ، ولم تعد لودميلا تشبع فضوله .

الموظفة الجديدة نبوية ، تلفت نظره ، وتأسره خفة ظلها . تمناها زوجة . ولكن ، هل ترضى به ؟.. وهو في

الأربعين ، متزوج وله طفلة . يخالجه إحساس بأن لودميلا ستتركه ذات يوم . ربما حين تسافر ، لا تعود .. وتضرب عرض الحائط برسائله ، وتنخرط في حياة أخرى . تزوجها منذ ست سنوات ، ومازالت علاقتها بأسرتها مستمرة . قد تلبي اغراء ما ، وتتركه . لا بد أن يعد لهذا اليوم . هذا القلق سيطر عليه منذ زواجه بها . لكنه اليوم ، يتمنى أن تتركه ، غير آسف على الفراق . هي لم تبح بشيء ، وكل تصرفاتها توحي بأنها لن تتركه . قالت له غير مرة :

ـ لن يفرق بيننا سوى الموت .

وعلى عكس ما تصور ، أحبت حياة المصريين وعاداتهم . وحين قال لها أن أمنيته أن تشهر إسلامها ، ويعلمها قراءة القرآن وأداء الصلاة ... فرحت ... وقالت :

ـ أنا مسلمة ، من الآن ...

أنطقها الشهادتين ، وبدأت تصلي وتصوم وتقرأ القرآن ، بلكنتها التي تعودها . ولا شيء يوحي بالضجر ، سوى هاجس بأنها ستسافر مرة لترى أمها ولن تعود ..

ستهبط من المركب في أوديسا ، وتقول : وداعا . ربما تأخذ داليا معها ، وقد تتركها ، لتعيش حياتها هناك .. حرة .. طليقة ..

أعد العدة لليوم الذي تتركه فيه . وحبه لنبوية بدأ ينمو .. غزت قلبه وتمناها زوجة . أحس بميل شديد . واعدها ذات مساء ، وتبادلا حديثا حلوا . أحبت نبوية أن تلتقي بلودميلا ، وداليا . رحبت لودميلا وأعدت عشاء خفيفا ، وعديدا من أطباق الحلوى ، وكانت أمسية رائعة. فرحت لودميلا بالضيفة ، واعتبرتها صديقة . وفرح عادل أيضا ، ولا يكاد يصدق أن الرياح تأتي بما تشتهي السفن!

لم تمانع في لقائه بها في أي وقت ، لم تثر ولم تغضب . واستضافتها في البيت كثيرا . ولكن ... ماذا يفعل بهذه الحرية ؟ إنها حرية مقيدة . نبوية من أسرة محافظة ، وإن تحررت قليلا ، فليس مسموحا لها أن ترتبط بعلاقة غير شرعية . وإذا رغب في أن تكون زوجته الثانية، فهل توافق ؟

وفي مرة ، تجرأ وباح لخالته ، صكت صدرها بكفها. آخر ما يتوقع أن تثور خالته .

قال لها :

ـ ألم تعاتبيني لأني تزوجت فتاة غير مصرية ؟

صمتت • ثم قالت :

ـ ولكنك تزوجت • ما كان قد كان • ولك بنت •

ـ ربما تتركني لودميلا ••

ـ لو تركتك ، تكون عديمة الأصل •

ـ ولو تركتها أنا ؟

ـ تكون عديم الأصل ، ولا مؤاخذة •

تردد في التصريح ، كتم مشاعره •• نبوية ألفته رجلا مهذبا ، يتودد إليها بأحاسيس مرهفة • لكنها لم تذهب بأمانيها بعيدا • سألها :

ـ إذا تقدم لك رجل في الأربعين،هل تقبلينه زوجا؟

ـ حسب شخصيته ، ومدى الانسجام بيننا • ولكن •• لماذا الأربعون بالتحديد ؟ سيكون فارق السن خمسة عشر عاما •

وجم .. ولم يقل شيئا .

نبوية فتاة ناضجة . تجتذبه ملامحها وخفة ظلها .
فما باله حبيس بيت الزوجية ، وزوجته الشقراء الجميلة .
نعم .. لودميلا جميلة . لكنه الجمال الذي لم يعد يروي .
عيناها الزرقاوان ، لم يعد ينظر إلى صفائهما ، وإلى اتساع
البحر والمدى في أعماقهما . وشعرها الذهبي ، لا يحاكي
أسلاك الذهب الذي جن به في السنوات الخوالي .
بياض البشرة ، لا يعادل السمرة الخفية التي يعشقها حتى
عثرتي الإبطين لا يثيران الخيال ...

أزف موعد سفرها السنوي ، لترى أمها وأقاربها .
لعلها تذهب ولا تعود . خاتمها النفيس ، لن يتمسك به .
حين سافرت أول مرة ، ساوره قلق . وحتى تثبت له أنها
ستعود ، أعطته خاتمها الذهبي . الخاتم أثمن ما تملك ،
لا لقيمته فحسب ، ولكن لأنه هدية غالية تحتفظ بها .
أهداها أبوها الخاتم في ذكرى ميلادها ، ثم مات بعد أيام
قلائل . لهذا اعتبرت الخاتم وديعة غالية تركها أبوها قبل
أن يموت . ترى هل أحس بدنو الأجل ، فشاء أن تذكره
ابنته ، طالما كانت لها أنفاس في الحياة ؟ ربما .. أبوها

أودعها أمانة ألا تنساه ، وهل تنسى لطفه ودعاباته وولعه بها ؟

رأى عادل أن حرصها على الخاتم أكثر من حرصها على أي شيء في الحياة . لهذا كان اصراره على الاحتفاظ به حين تسافر ، ليضمن عودتها ! وكانت تناوله الخاتم بنفس راضية . ولكن ... في هذه المرة ، لن يتمسك بالخاتم . لتذهب هي وخاتمها وتتركه لحياته الجديدة . أعدت حقائبها . طلبت داليا لتسافر معها وترى جدتها ، فوافق..

عاش وحيدا ، يترقب الأيام بحذر وتحسب . في هذه المرة قد لا تعود . خاتمها معها ، وداليا معها . فماذا تبغي أكثر مما أخذت ؟ وهل تحلو حياته بدون داليا ؟ يستطيع أن يتزوج ممن يحب ، ثم يكاتبها بشأن داليا ، لتعيش معه في مصر . ستوافق على شروطه ، ربما ، لتعيش حياتها طليقة ، وترتبط بمن تشاء . وإذا تعذر طلبه ، سيقترح عليها أن تعيش داليا عاما في مصر وآخر في روسيا . أتاه هاجس بأن لودميلا ستتمسك بداليا . الفرصة مواتية لتعيش في رعاية جدتها التي تعاني الوحدة والصقيع . أواه ... قد نسي ما قالته لودميلا ذات مرة :

ـ في بلدي .. ترعى الدولة الأطفال .

السؤال الآن : هل يستغني عن ابنته ؟

لينتظر ، وليرجيء كل شيء . الأمر متروك لها . انتهى الشهر ، بلياليه الطويلة وقلقه وهواجسه . وفي اليوم المحدد للعودة ، لم تحضر . ربما تأخرت في الميناء ، واضطرت للمبيت بفندق . انتظر في اليوم التالي ، فلم تحضر . فرح صبياني ، قاده للقاء نبوية ، وباح لها برغبته في الزواج !

نظرات شك في عيني نبوية ، تتفرس ملامحه . قال بلهجة قاطعة :

ـ زوجتي هجرتني ، وأخذت داليا معها ..

صمت حذر .. نبوية تتروى ..

ـ أعيش الآن بمفردي ، هل تقبلين العيش معي ؟

همست ..

ـ دعني أفكر .

ولم تزد . لفهما صمت . انحبست الكلمات في حلقه ، مد يده يحييها . قال بنبرة خافتة :

ـ سأنتظر ، ولو يأتيني الرد بالهاتف .

وودعته بابتسامة حائرة .

عاش أيامه قلقا معذبا . إذا لم توافق نبوية ، فلن يتزوج . إنه أحبها .. كيف أسرته ؟.. لا يدري.. انقطع عن العمل أسبوعا ، واعتكف في البيت ... يتذلل للهاتف أن يرن ، ويسمع صوتها . وكثيرا ما انخلع قلبه لرنينه.. لكن الصوت يخونه ، ويخيب أمله .

لم يعد يأمل في عودة لودميلا . وديعتها الغالية في أصبعها ، وابنتها معها .. فماذا تريد منه ؟ هل تسرع في التفريط ؟ فقط تعود داليا ، تعود إليه . إذا كانت تحرص على خاتم ، فكيف يفرط هو في ابنته ، فلذة كبده ؟ أواه يا عادل !.. أليست داليا ابنتها هي الأخرى ، ولها الحق في رعايتها مثلما لك الحق ؟

بعد غد سيعود إلى عمله ، سيواجه نبوية التي تجاهلت رغبته واستهانت بمشاعره . ليتها ترد اليوم أو غدا . غير

قادر على المواجهة . يعرف الرد مسبقا . آه لو يأتيه صوتها، ولو بالرفض . سيستريح ، نعم سيستريح .. لكن الصباح حمل معه رسالة بريدية من لودميلا . ابتسم . توقع أن تكتب له : عدت إلى بلدي ، وفضلت البقاء فيها . وتهديه تمنياتها الطيبة !.. لن تتأثر لودميلا بفراقه . أما هو ، فماذا يفعل ؟

فض الرسالة وقرأ ... شدته السطور .. كلمات حب عظيمة .. قالت في رسالتها :

« شكرا يا عادل ثقتك الغالية . هذه المرة أنت تثق بي . لم تشترط شرطك التافه بالاحتفاظ بالخاتم رهينة ، ضمانا لرجوعي !. أنا سعيدة جدا .. فأنا أعود إليك باختياري ، لأنك حبي وحياتي ، لا لأنك قيدتني بقيد سخيف . ألا تعلم أن حبي لك قد زاد ، وسعادتي لا توصف ؟ أنا عائدة إليك على جناح السرعة . سعدت أمي هي الأخرى ، وأحبت داليا كثيرا . واشترت لها هدايا وحلوى .. اشترت لها عرائس ولعبا جميلة وفساتين . قبلاتي وأشواقي إلى أن أعود » .

يبدو أن الرسالة تأخرت في البريد . ولكن يوم

عودتها مضى عليه أسبوع . مـاذا حدث يا ترى ؟. هـل فاجأها عائق منعها من السفر ، أم ترددت في اتخاذ القرار؟ هل أغرتها الحياة وألهتها ، فنست ما كتبت ؟. ربـما .. وانتهبته الهواجس من جديد .

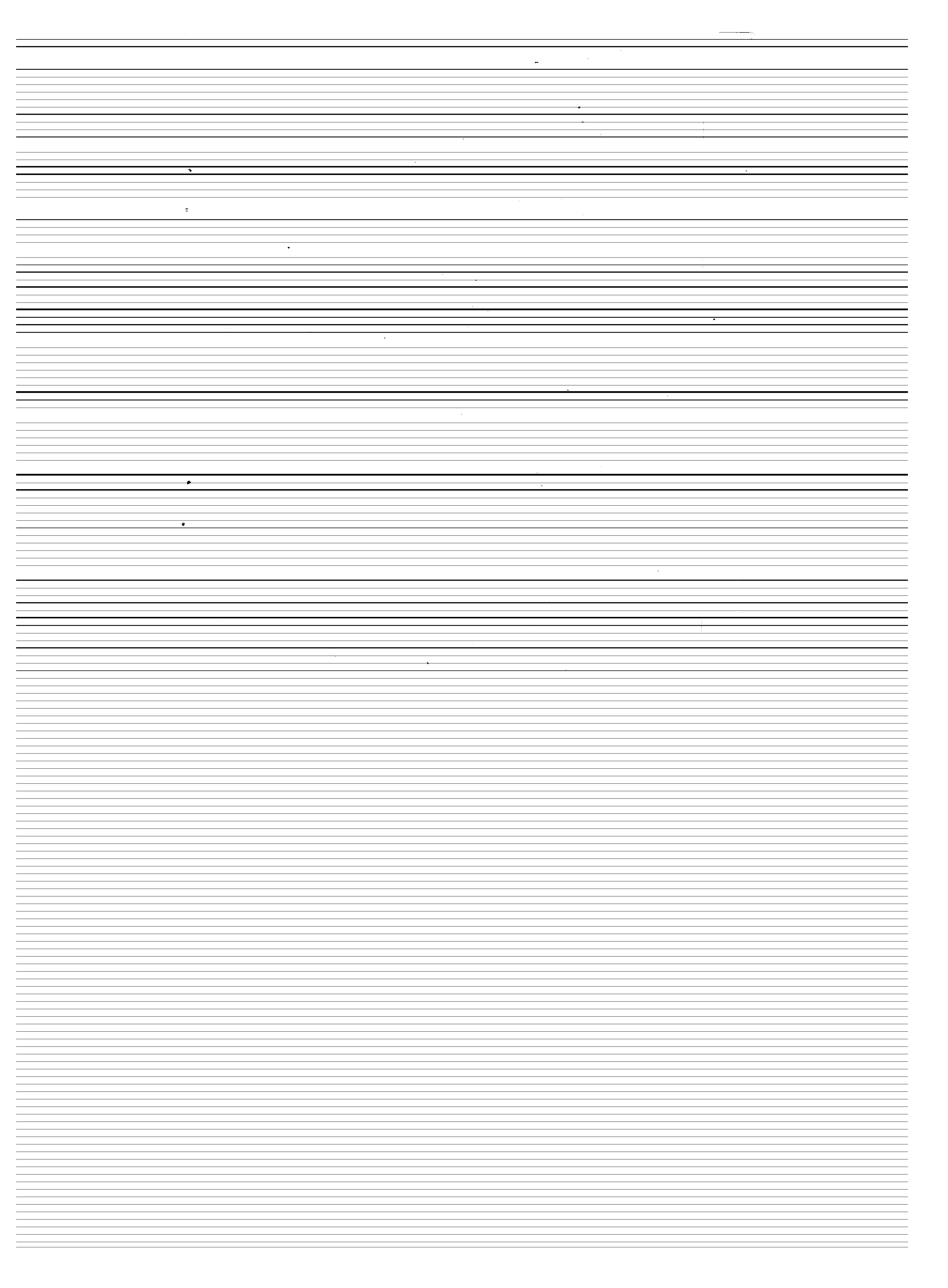
تذكر صديقه الموظف بميناء الاسكندرية . اتصل به هاتفيا . عـرف أن الباخرة تأخرت عـن موعدها أسبوعا كاملا ، وستصل صباح غد .

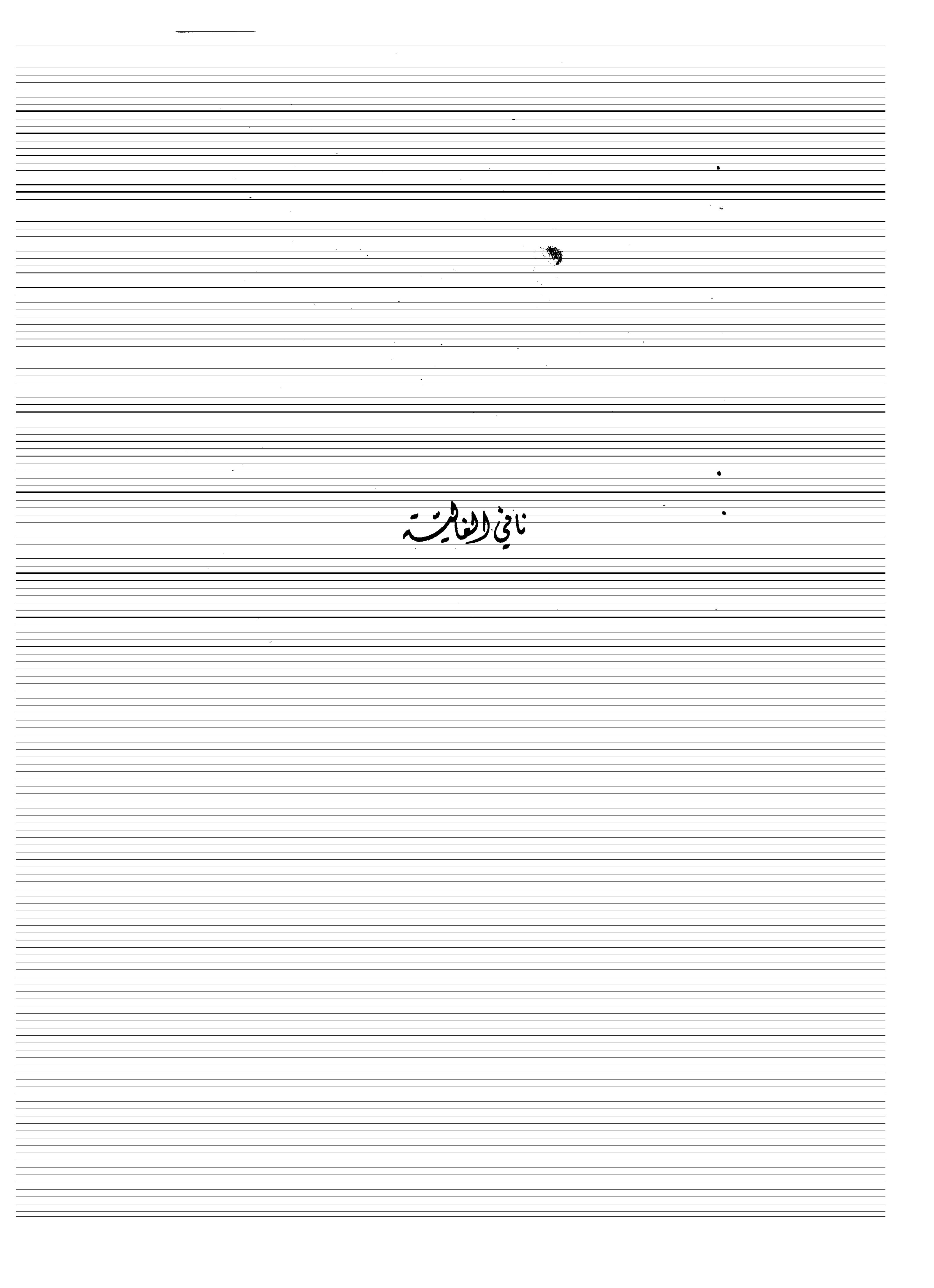
اعتزم السفر إلى الميناء ، وهو على يقين بأن لودميلا ضمن ركاب الباخرة .

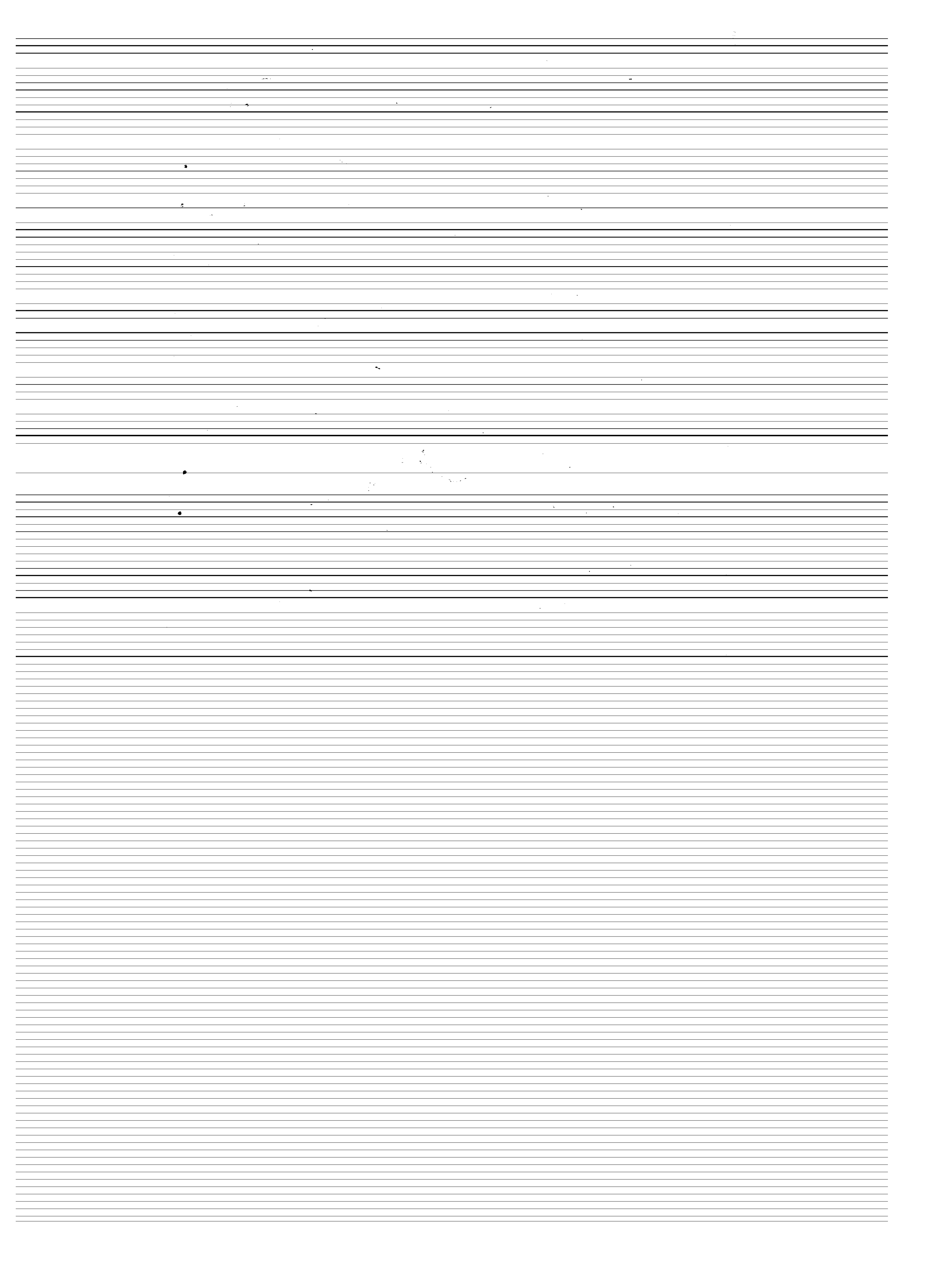
احتضنها في قـوة ، وغمر وجـه ابنتـه بالقبلات . ابتسمت لودميلا ، وهي تتحسس الخاتم في أصبعها ، كانت سعيدة جدا ...

أبريل ١٩٨٣






ناي الغابة



نافي الغالية

مضت .. واستبقت صورتها معي ..

دعوتها أن نلتقي لقاء آخر ، كي أعطيها رسائلها والصور . رمقتني عيناها ، وأسقط في يدي . تمتمت شفتي بصوت داخلي لا يُسمع . عجزتُ عن البوح بما أريد . أبت أن تعدني بلقاء جديد ، وأصرت على أن يكون لقاء الصدفة ، هو اللقاء الأخير .

واحترقتُ مع الذكريات . عدتُ إلى البيت حطام جسد ، أقلب في رسائلها ، وأرنو إلى الصور .

رسائل حب صادقة . أحس بصدقها في كل كلمة ،

ومن رائحة الورق . وصورتها قبالتي ، عيناها اللماحتان ، الضاحكتان ، كيف انقلبتا نهرين يبكيان الحب الغارب ؟

مضت في طريقها ..

وسرتُ أنا في غير طريقي ! سرتُ وحدي .
افترقنا ، دون كلمة تحية ، أو ابتسامة .. كلانا جريح .

نائي الغالية .. يا أعز نداء شدوتُ به . ترى ، هل تستبقين رسائلك عندي ، كي تظل ذكرى حبنا باقية ؟
هل تستبقين صورك ، كي تمثلي في خاطري حين يشتد بي الوجد ؟ ورسائلي ، ما مصيرها ؟ هل تحتفظين بها ، أم آلت إلى النار ، واحترقت حروفها الخضراء ؟ هل يشدك الحنين إلى سطورها ؟ أم انزوت في ركن معتم ، وتراكمت فوقها أتربة النسيان ؟

وكلماتي .. ماذا يعن لك ، وأنتِ تقرئينها الآن ؟ كتبتها بذوب فؤادي ، وأعصابي المرهفة . كتبتها لحنا من ألحان هوانا . لا ، لم أغالط . ولم أكذب . فأنتِ حبي ، وأغلى ما أملك . أنتِ كنزي ، وإن حجبته عني ألغاز الحياة ومنطقها الأعرج .

مضت نـاني في طريقهـا . خطواتهـا حزينـة .
وسرت وحدي كاسـف البال . خيوط العنكبوت تلتف حولي . مازال الأمل معقودا على لقاء آخر .

الذكرى تشتعل في ليلي الحزين . وناني الحبيبـة ، الغالية ، مازالت تؤرقني في صحوي ونومي . مازالت تشعل النار في دمائي . النداء الحبيب ، بتّ أشدو به وحدي ، أعزفه معزوفة نسجتُ أنغامها من حبنا الدافيء .

كنتُ سـائرا على غير هدى ، ذات يـوم من أيامي الحزينة ، بلا رفيق . أراها في كل مكان . كانت لناذكريات في كل شبر من الأرض . هـذا المشرب كم جلسنا فيـه وتطارحنا الغرام ، كم ضحكنا ، كم تبادلنا الشـوق أنغاما شجية ! وهذا الطريق ، كم ذرعناه جيئة وذهابا ، ولا نمل أبدا ، وفي كل مرة ، نكتشف أننا بحاجة إلى معاودة السير فيه ! وحدثتني حبيبة القلب عن سـر هذا الطريق ، ذي الأشجار الخضراء الوارفة الظـلال . ونظل نسير ، ذراعانا متشابكان ، ويدانا متعانقتان . ودار (سينما) ، كم ولجنا بابها ، واخترنا مقعدينا الأثيرين .

نلتقي ، فنتبادل رسائل الحب ، فلـم تكن اللقاءات

تكفينا • فنظل ساهرين والنجـوم تحرسنا ، تتلألأ عـلى صفحة السماء ، والبدر يضاحكنا ، يشاركنا السمر ، ينشر نوره الفضي على جسدينا •

كنتُ سائراً أقتات ذكرياتي ، عازفا عن عالمي الذي حولي ، فإذا بها قبالتي • ناني أمامي ، ويا لها من صدفـة عذراء !. التقت العيون ، وارتعشت الشفاه • أسـقط في أيدينا • كلانا لم يدرِ ما يقول • كلانا مشدود إلى الآخر ، برغم الظنـون التي لعبت برأسينا ، وقوضت أحلامنـا • وحين تلفتنـا حولنا ، أصخنا السـمع لأقاويل النـاس ، وادعاءاتهم • وتهدم معبـد الحب في لحظة .• ما بنيناه في سنين ، تقوض صرحه في لحظة !. ما أبعد خيالاتنا عن هذا التصور ، ونحن الذين تجاوزنا السحب بأغانينا العذبة ! طائر الحب الذي أطال التحليق فوقنا ، قد تكسر جناحاه ، ولا يملك غيـر الدموع باكيا عهد الهوى وقـد أصابه ما أصابنا من كمد •

ناني الغالية ، هي الواقفة قبالتي • لكنها الحب الذي اندثر من على خريطـة الحياة ، ما زال نابضـا بصدري • مازال يشع النور الطهور في وجداني •

سارت بجانبي صامتة ، لا تتكلم . أسرعت خطواتها. رجوتها أن تبطيء ، أو تشاركني جلسة هادئة ..

ومض شعاع الحب في عينيها . مازالت عيناها محتفظتين بقبس من نور الحب . رنتْ إليّ صامتة .. ثم تمتمت :

ـ كل شيء نصيب .

ولعنتُ الأقدار العمياء . سحقا لها . ناني ، يا أغلى نداء ، الحب أبقى من كل شيء . الحب أسمى من كل شيء . الحب أغلى من كنوز الذهب . الحب . الحب . الحب . آه يا ناني .. لو تسمعين ندائي! لكنك ارتضيت الصمت ، ولا تخرجين منه إلا لماما ، بعد أن كنت تملئين المكان بكلماتك الحانية الدافئة . إنه النصيب . إنها الأقدار العمياء . إنها الحياة . وبرغم صمتك ، أقرأ في عينيك أشياء جميلة . مازال الحب نابضا في عروقك ، مشرقا في عينيك. مازال الحب حيا شاخصا أمامك .

دثرتُ أحاسيسي بأردية الصمت الثقيلة . قضيتي خاسرة . وحين حدثتها عن رسائلها والصور ، عن أشياء

غالية أصبح من واجبي ردّهـا ، صمتت .. وعرفتُ من صمتها أنها تستبقي شيئا على سبيل التذكار .

ارتعشت شفتاها ، ولم تجد جوابا . قلتُ في قوة :

ــ دعكِ من رد الرسائل والصور . ولنعُدْ كما كنا . لنكن أقوى من الظروف .

تمتمت بصوت واه :

ــ لكننا ، لسنا أقوى من الأقدار .

ــ هي من صنعنا ! أليست ظنوننا هي الأصل فيما حدث ؟

ــ لكن الظنون صنعت الأباطيل ، وصدّقها الناس .

ــ لا يهمني الناس .

ــ تعقدت المشكلة ، وفات أوان الحل والربط .

ــ التسامح رسالة الأنبياء .

ــ لسنا في زمن المعجزات .

ـ أقول التسامح رسالة الأنبياء ٠

ـ للناس ناموس يتعايشون به ، ونحن منهم ٠

ـ قد يكونون كفارا !٠٠٠

ـ لا تنس أننا بشر ٠٠

ـ ولا تنسي حبنـا ٠ الحب نـور ٠ الحب قـدر ٠ الحب إيمان ٠ الحب عبادة ٠

صمتت ٠ ارتعشت شفتاها من جديد ٠ حـارت في الجواب ٠ حيتني بايماءة برأسـها ، وخطت بعيـدا عني ٠ لكني هرولتُ في أثرها ٠ قلت :

ـ لكِ عندي رسائل وصور ، أريد أن أردها ٠

ـ فيما بعد ٠٠٠

ـ متى ؟

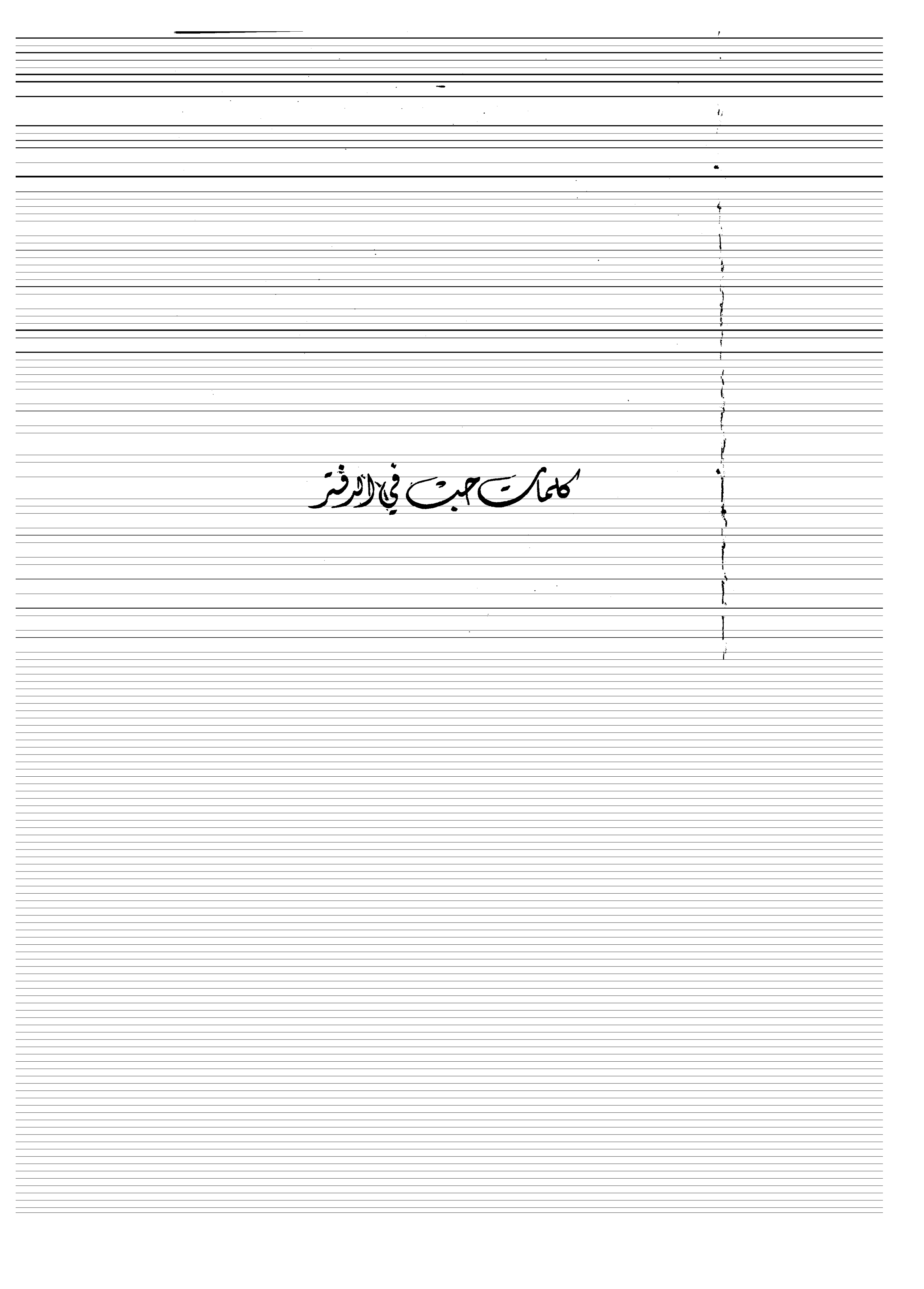
رمقتني عيناها الجريئتان ٠ وانبجست دمعتـان ، صنعتا لؤلؤتين تتألقان على خديها ٠ أشاحت وجههـا كي تحبس المزيد من الدموع ٠ ثـم رفعت قامتها ، ومضت في طريقها ٠ جمدتُ مكاني لحظات ٠ مات الموعد في شـفتيها

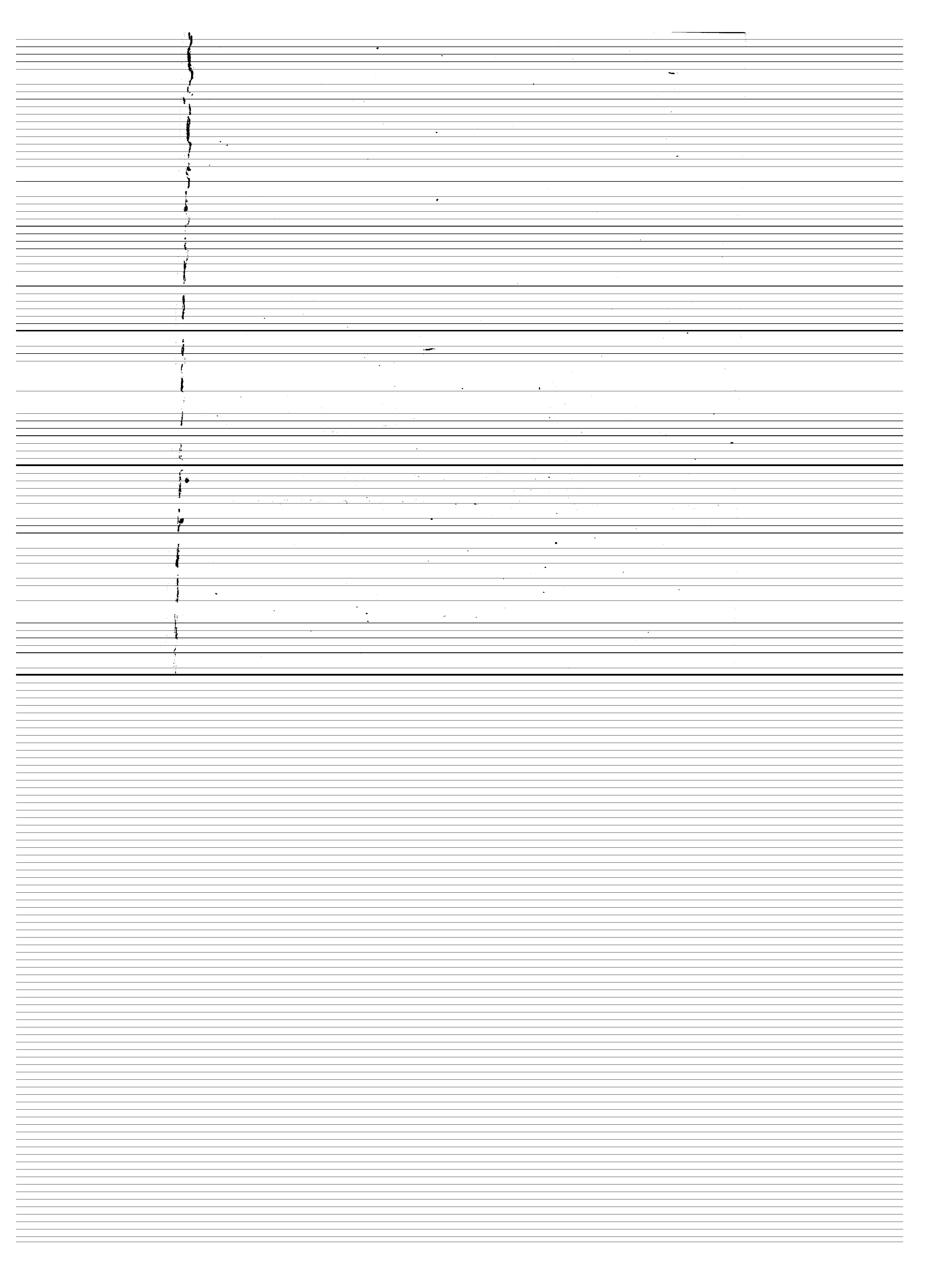
وانتحرت بقايا الكلمات في جـوف حلقي . تباعد ظلانا ، وظلا يتباعدان . وفي كل خطوة أخطوها بعيدا عنها ، يزداد خفق قلبي والتياعي ، ويزداد حنيني .

ولكن ... طائر الحب المهيض الجناحين ، لـم يعد قادرا على التحليق !

يوليو ١٩٧٦

* * *


كلمات حب في الدفتر



كلمات حب في الدفتر

ارتعشت يده . غار قلبه . أحب أن يعبث بحاجيات عفاف . ماذا يحوي هذا المكتب الصغير ؟ حرص على أن يلج باب غرفتها دون أن يسمع له صوت ، رغم أن البيت خال . تردد . حملق في الصورة التي يحيطها إطار مذهب، كأنه اكليل يتـوج العروس . رنا إلى الصورة .. ابتسامة حانية ، ونظرة ملائكية ، وشعر منسدل على الكتفين كالليل الدافىء . اقتعد كرسيها . ذعر . ارتعد . تدخل فجأة . تبتسم . تتكيء بمرفقها على المكتب ، تسند وجهها على كفها . الإبهام والسبابة يرسمان الرقم سبعة . الابتسامة تزغرد في العينين .. « ما شأنك بحوائجي .. ولِمَ تتدخل في حياتي الخاصة ؟ » . يحملق في الفراغ الذي حوله .

قبضة يده تخبط المكتب بقوة • شعره الهارب إلى الوراء تاركا جبهة أعرض ، يقشعر • يكفهر وجهه • أيرد عليها ؟ ماذا يقول ؟ مفتاح المكتب قابع في يده المرتعشة • يتوسل إلى الصورة التي تشاغله • ماذا يحوي المكتب من أسرار؟ • يود أن يستكشف عالمها الخاص •

في الصبا ، كانا يتشاجران لأتفه الأسباب ، الأخت الشقية كبرت •• عفاف كبرت • تكور النهدان ، واتسق القد • جرى ماء الأنوثة في جسدها ، لكنها أبدا ظلت عفيفة طاهرة ، خفيفة الظل ، رشيقة القوام ، رائعة الجمال • شعرها يتبدل من حال لحال • يبدو كالليل الدافيء حين يشرق محياها بالابتسام ، ويبدو كالموج الصاخب حين يغلف ملامحها الشجن •

المفتاح يا رفعت في يدك ، ماذا تنتظر ؟ • لماذا أنت خائف ؟ ألأنك لم تستأذن ؟ أم لأنك وحيد ، والبيت خال ؟ الأم تعزي إحدى الجارات ، والأب في العمل ، وأنت وحدك • اعترتك رغبة غامضة في المكوث بالبيت • قد تكون اجازة استجمام من رتابة العمل • لكنك تحفزت منذ المساء كي تفتح المكتب ، وتتعرف على محتوياته •

لا تخف من عفاف . عفاف بنت طيبة . أنت تعرف طبعا هذه الطيبة . كثيرا ما يدب الخصام بينكما ، لكنها في النهاية تحطم عنادك ، واصرارك على القطيعة ، وتجبرك على التحدث معها .. فلماذا أنتَ خائف ؟ . هي أختك الطيبة ، وعليك أن تتعايش مع عالمها الخاص .

يضع المفتاح على المكتب . يرجع بجذعه إلى الوراء . يحملق في سقف الغرفة . يتحسس الجبهة العريضة . صداع يحفر الألم في رأسه . يفرك الجبهة بأنامله . في عينيه غشاوة . تبدو الغرفة كما لو أن الضباب قد تكثف، في أنحائها . الغرفة هادئة هدوءا غريبا . ينهض عن كرسيه . يتمشى في الغرفة جيئة وذهابا . النظرات مثبتة على المكتب المغلق ، يستفزه السر الكمين . انه متردد ، والمفتاح مصلوب على المكتب !

تنجذب عيناه إلى ملف أحمر يعلوه التراب ، موضوع على كرسي صغير بجوار المكتب . يتناول الملف . ينفض التراب عن غلافه . يفتحه . مكتوب في وسط الصفحة الأولى (بسم الله الرحمن الرحيم) . يقلب الصفحة . يقرأ العنوان (قالوا عن الحب) . كلمات قيلت هنا وهنالك،

جمعتها بمهارة وذكاء . إنه خط عفاف مائة بالمائة . هـذه النون المقلوبة ، وتلك الميم ذات الدائرة الضيقة المنمنمة ، مكتوبة بخطين مختلفين حسبمـا يحلـو لعفاف أن تكتب الميم . فهي حائرة بين أن تشبك بدائرتها الصغيرة خطـا أفقيا ، أو تلوى بخط رأسي . إنه خط عفاف . يشرد . هل عرفت عفـاف الحب ؟ هـل أحبت ؟ أم هي كلمات سطرتها خيـالات المراهقة ؟ كيف تخونه ؟ هذه خيانة . إنه يعلم أنها لم تعرف الحب قط . في كل أحاديثها معـه ، لم تتطرق إلى كلمة الحب . هذه الكلمة منبوذة ، مهجورة .. لـم يألفها مجلسهم العائلي .. اللهم إلا حب الوالدين والناس . أما الحب بين الجنسين فأمر مهمل .

يشعل لفافة دخان . وينفث الدخان من صدره كأنه يزيح عبئا ثقيلا . سألته خطيبته ذات مرة :

ـ أتحبني ؟.

ابتسم ساخرا :

ـ لست أؤمن بالحب .

ـ تكرهني اذن ..

ــ لا .. أخلص لـك . لكني لم أفكر قـط في أن تكون لي علاقة غرام بامرأة .

ــ لكني خطيبتك ..

ــ وزوجة المستقبل .

ــ وحبيبتك ..

صمت . لم يتعود على لغـة الغرام . متزن هـو . متعقل . يتراءى له الحب كعملة صدئة في سوق العلاقات العامة . قد يكون مخطئا ، لكنـه يكره النفاق . اختلطت كلمة الحب في ذهنه بكلمات النفاق والمجاملة والمداهنة . قطع الصمت وقال :

ــ يكون الحب بالسلوك والمعاشرة والتفاهم .. ليس الحب كلاما فحسب .

جال هذا الحوار بخاطره ، وهو يتلـو كلمات الحب المـأثورة ، المكتـوبة بخط عفـاف العفيفـة الطاهرة . بنت شقية هي ، وذكية . لـم تنطق بكلمـة الحب أمامه ، لكنها ضمنتها تلك الكراسة التي تستأمنها على مشاعرها .

ألا تدري أن يدا سوف تعبث في الخفاء ؟ ألا تعرف أن رفعت سوف يقرأ ما تكتب ؟ ويبتسم لهذا الخاطر، لكنها ابتسامة حزينة باهتة !

في الصفحة المقابلة يقرأ رأى أخته في الحب • إنه أسلوبها ، وتلك أخطاؤها النحوية • تبدأ هذه السطور •• « يجب أن نزرع الحب في قلوب الناس » • تشده العبارة، فيستغرق في القراءة •

وفي الصفحة التالية قصيدة غزلية لنزار قباني ، منقولة بخط منمق • يقرأ كلمات غزل في نهدي المرأة •• أواه !•• عفاف تقرأ مثل هذه الكلمات ، وتكتبها أناملها الرقيقة ! المفاجأة تذهله ، تزيد من حدة الصداع • عينا عفاف تنظران إليه من خلال إطار الصورة ، هما عينان كحيلتان ، عينا فتاة رشفت من كأس الحب • المشهد يتجسد أمامه •• كان حبيبها ينتظر عند باب الكلية كل يوم • مواعيد المحاضرات غير منتظمة ، والرقابة غير مجدية ، والحجج كثيرة • لا تستطيع قوة أن تمنع انتشار الحب • ليس في مقدوره أن يمنع عفاف من ارتشاف الحب • الشعر الأسود المنسدل على كتفيها يبدو كنقاب يرفع عن وجهها ، فيتعرى الوجه الصبيح •

يضيق بوقفته . يجلس . يضع الكراسة على المكتب . يشرد . تختلط المعاني داخل رأسه .

عاد يقلب صفحات الكراسة . ذكريات أم كلثوم منسوخة في صفحة كاملة . وفي صفحة أخرى يقرأ عن (عجائب الدنيا السبع) . ثم يعثر على قصاصة ورق من إحدى المجلات ، تتضمن تفسير آية قرآنية . تهدأ الزوبعة . يثق بأخته .

عروس طاهرة . عفيفة . ترفل في ثوب الزفاف الناصع البياض . الطرحة بيضاء ، والابتسامة عذراء ، والزفة موكب نور . إنه ينتظر هذا اليوم . تزف عفاف أولا ، ويؤخر زواجه . تشنف أذنيه دقات الدفوف ، ينتشي بمراسم الزفة . أخته كالشعاع الأبيض يضفي على البيت سحرا عميق الأثر . أمه فرحانة ، مبسوطة . أبوه هادىء ، وقور .

سوف ينقشع الليل الأسود البغيض . سوف يدفن الماضي . فليستبشر خيرا . أرادوها نكدا ، غيروا الزفة ، أجبروه على السير في سكة غبراء . لا .. عفاف أخته ، وسيفرح لها ، قريبا إن شاء الله ! غدا . اليوم . اللحظة .

الجو بارد . الصورة ترنو إليه ، كأنها تستعطفه . يود أن يبكي ، أحيانا تغسل الدموع همومنا .

يعود إلى الكراسة ، إلى كلمات الحب التي أشرقت من جديد . يقرأ رسالة كتبتها أخته ، لحبيب القلب طبعا . كتبت «حبيبي ...» . والاسم مطموس بخطوط متقاربة. يحملق . تجهد عيناه . لن يستطيع قراءة الاسم . الاسم مطموس تماما . لا فائدة من المحاولة . ليكن أي رجل . المهم أنها عشقت رجلا ، عرفت الحب ، آمنت به . في كلماتها اشراقة ونقاء . يحملق في الصورة . يشرد في البعيد . حالا تجيء ، وتتوسل . ها هي ترفل في ثوبها الأنيق . تزرع ابتسامة حب خضراء .. « والنبي يارفعت، لا تزعل مني . شاب طيب ، وسيتزوجني » . يبتسم . يعود إلى الكراسة بعد أن احتضن الفراغ الهائل الذي احتواه . تريدين أن تصبحي مؤلفة يا عفاف ، وتتكلمين عن الحرية أم تبحثين عن الفوضى ؟

يقرأ قصيدة تتغنى بحب مصر . ثم كلمة كتبتها عن صديقاتها ، كتبت عن صديقاتها ، كتبت أسماءهن . ثم ينجذب إلى مقال قصير ، مكتوب عنوانه بالأحمر القاني..

(الحب والموت) . كتبت عن الحب والموت ، وربطت بينهما ، مزجت بين المعنيين .

يفيق على صوت رنين الهاتف . تلومه خطيبته على تغيبه . تخاصما منذ أسبوع . كان عنيدا ، متشبثا برأيه. تحاول أن تغير من طبيعته . يعتقد أن الرجل صاحب الرأي ، وينبغي ألا ينصاع إلى مشورة امرأة . ولكن شيئا ما ، تغير في نفسه الآن . لا يدري ما هو ؟. لكنه يشعر بجبل الكبرياء يتحطم ، ويتهاوى . ينتشي بصورة خطيبته التي انتشلته من الجب الذي وقع فيه . كان رقيقا معها ، وخيل لها ــ لفرط دهشتها ــ أن الصوت ليس لرفعت ، وإنما صوت ملاك هبط من السماء !

يعود منتشيا بعد المكالمة . يتذوق الكلمات . بعض الجمل يعيد قراءتها .. (الحب والموت) .. معاني جديدة تطرأ على ذهنه ، كأن عفاف فيلسوفة . عبارة مبهمة تقول : « قد يفضي الحب إلى الموت ، وقد يفضي الموت إلى الحب » .. ثم عدة نقط ــ كأنها آثرت أن تكتم السر في أعماقها .

يخشى أن تجيء وتسأل عن رأيه ــ هكذا ظن ــ

فيرتج عليه القـول . يمسك بالقلم ويتفكر فيما ينبغي أن يقول . ينتقي صفحة خالية في آخر الكراسة . يكتب :

« أختي عفاف .. أعجبتني الكراسة ، لكن كلمات الحب ... » .

لم يستطع أن يكمل . يتـردد . يرتعش القلم بيـن أنامله . يحس ببرودة تلفح وجهه . يخشى أن تصاب عفاف بنوبة برد وهي نائمة . يقف . يخطو . يقترب من الفراش . يسحب الغطاء . يدثر الساقين العاريتين ، ليصون عفافه.. وما احتضن الغطاء إلا الفراغ !

الفراغ هائل ، مارد .. والصمت رهيب ، كئيب ..

يعـود إلى الكراسـة . يشطب ما كتب . يطمـس الكلمات . ثـم يرنو إلى الصورة . يستعطفها كي تغفـر اسـاءته .

يتملى فيما طمس من كلمات . يجد الصفحة مشوهة . سوف تغضب عفاف من هذا الافتراس الهمجي لمشاعرها . يقطع الورقة بحيث لا تؤثر على أناقة الكراسة .

يضع الكراسة في مكانها داخل الملف . يعيد الملف إلى مكانه فوق الكرسي الصغير . يتناول المفتاح . يرتعش المفتاح بين أنامله . ينظر إلى الصورة مليا ، ثم إلى الفراش الخالي !

وفي معبد الصمت العريق ، يتناهى إلى سمعه صوت هامس ، ملائكي النغمة .. حبنا أقوى من الموت .. حبنا أقوى من الموت !

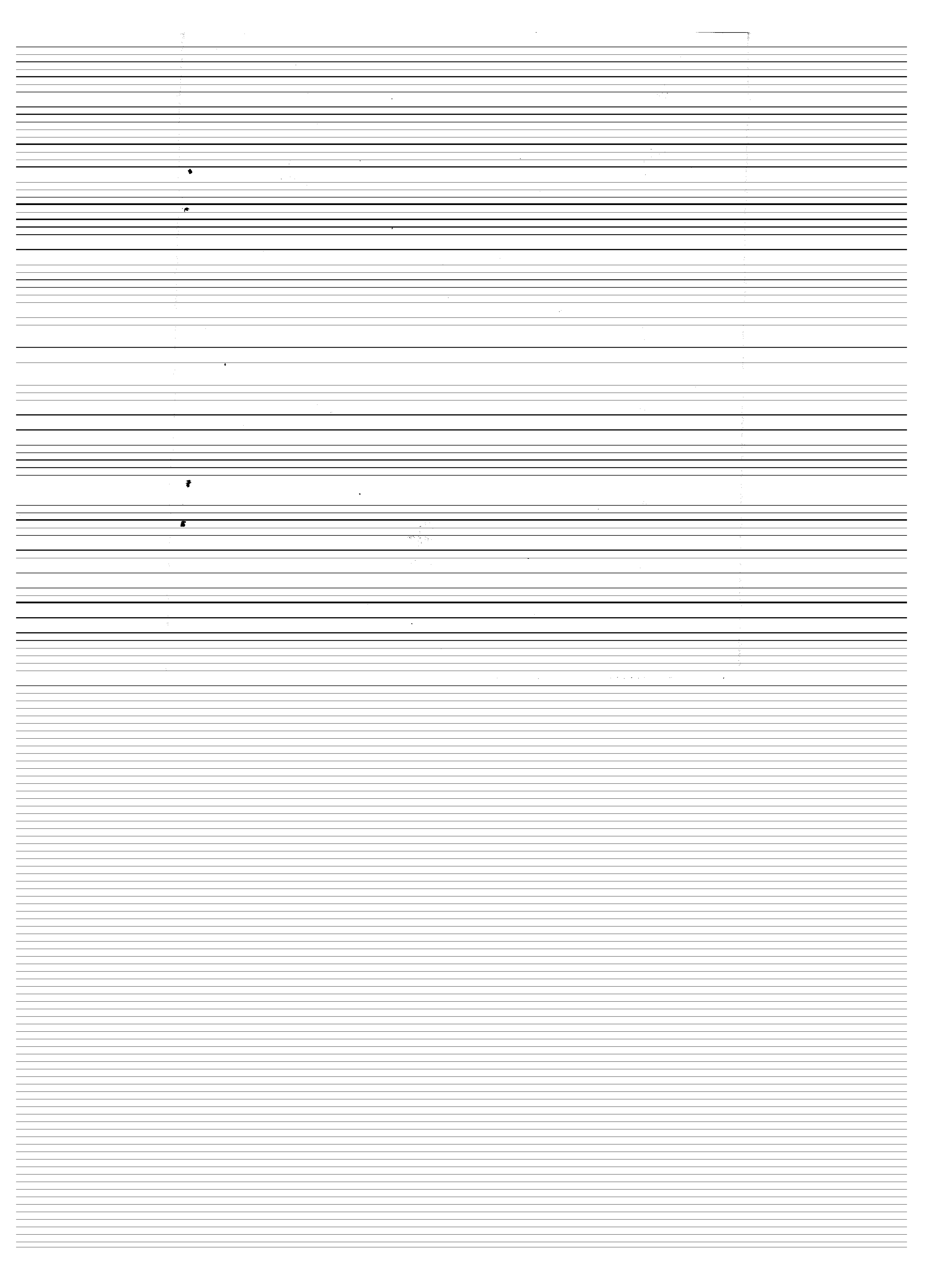
وظل المفتاح مصلوبا بين أنامله ..

ولايزال الفراش خاليا ..

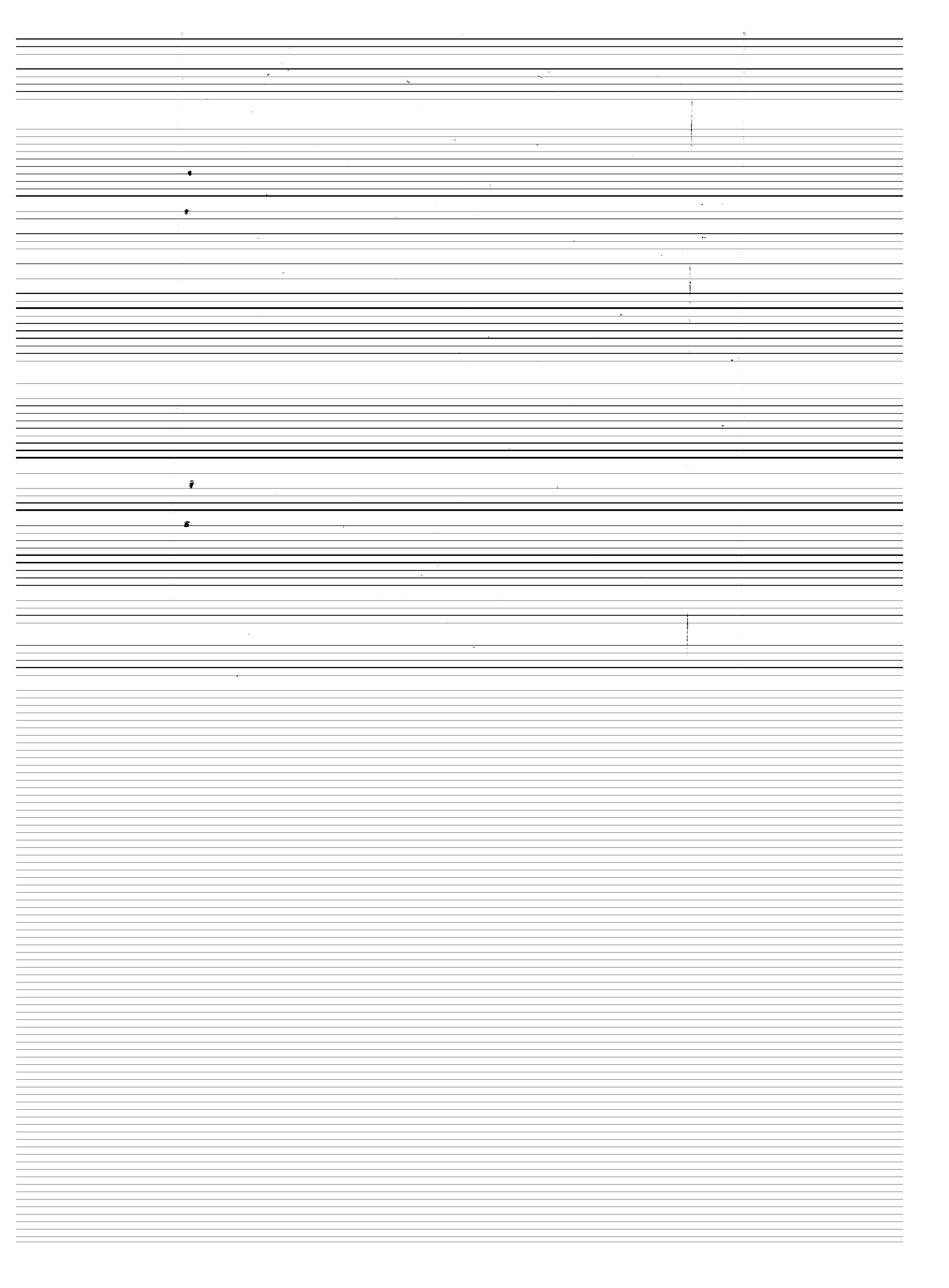
والصورة تتألق ، تزهو ، تشع نورا في وجدانه .

يونيو ١٩٧٥

★ ★ ★



عاشقة الضوء



عاشقة الضوء

تقعـد في شلالات الضـوء . الشعر أسـود طويل متموج . البشرة بيضاء ناعمة . العينان شاردتان . اليدان ـ يداها ـ تمران على الجسد البض . تغتسل في الضوء . حزم الضوء تتساقط تباعا ، تستضيء بهـا مكامن خفية . ذراعاها ترتفعان في انتشاء ، وتتراقصان فرحا وطربا ، لكن الضوء فياض . والشوق يستكن في المهجة ، يسبر الأغوار .

ما لليل وتوق الانسـان إلى المجهول ؟ . ما للأحلام وكيف تكون ؟ بودها لـو تمزق قماط الليل ، لو تشـق صدر الفضاء ، لو ...

تقعد في شلالات الضوء ، تغزل منـه ثوبا أبيض . تضمه بين راحتيها جنينـا كالسنا ، بهي الطلعة ، وضـاء

الجبين . تنهض . تخطو خطوات في الرقعة الضيقة . لا تريد أن تفارق الضوء ، لا تريد أن تبارح المكان . الضوء ساطع ، ويوحي بالنقاء ، كأنها تغتسل ، تتطهر ، تمشط شعرها بأناملها ، تتخلل طيات الشعر ، فيتسرب الضوء . تبتسم فرحة بالفيض الغامر .

القمر يغازل الوجه الصبيح . والنجوم ترشقها بسهام نارية . وصوت آمر من جوف الليل ، أن تعالي ، تعالي.. تتأبى . تظل منتشية بالضوء . الضوء نهر قدسي . يغويها الصوت الآمر . تشد يدها بقسوة ، أن تعالي ، تعالي...

سآخذك إلى حيث الأمان . هنا الضوء يحرق ، هنا الضوء يشعل .. يصير نارا ، يصير بركانا . تعالي يا امرأة ، ادخلي إلى رحمي ، إلى حضني ، حيث الأمان والسكينة .

عيناها مذعورتان . تقاوم . ترفع يديها إلى السماء تدعو . تستنجد . ترى الحب في الضوء . تراه في سناه . تكاد .. تكاد أن .. تكاد أن ترى الابداع !.. تتلوى . تتعذب . تطلب الرحمة ، المغفرة . تقاوم . تظل تقاوم .

الصوت الآمر يدوي ، يوجع الأذن . الشمس تحرق. تعالي يا ابنة الليل .

قيدت القدمان واليدان واللسان . قص الشعر الهفهاف . عصبت العينان . وتلونت المركبات بالأحمر القاني والأسود القاتم . بدأت رحلة العذاب . لكنها لم تستسلم . القلب لم يزل يقاوم . لم يزل يشرئب لشعاع ضوء . تحتد . تلطم الخد . تندب الحظ . تقتات الصمت . تأنف الحياة . تتأبى . تقاوم . مزقوا ثوبها الأبيض ، صبغوا الوجه بالأصباغ والألوان . ذاقت كل صنوف الهوان . تتمتم خاشعة :

الضوء مسافر مغترب

وحين يعود ..

سيلقاني عذراء

وأزف النور في رحابه

تنتظر . أبدا لا تمل الانتظار . لم يزل ماء الحياة في عروقها ، برغم الظلمة الحالكة ، وبرغم كاذبات الأماني ، وبرغم ما حولنا من سراب . لم يزل قلبها نابضا آملا . تغزل ثوب العفة بيديها المتعبتين . تقرب الثوب من أنفها فيتعطر ، وتتساقط من عينيها حزم ضوء أخضر ، فيتطهر .

المعاناة قدر الانسان

لابد أن تكابدي ، وتكابري

لابد أن تصمتي ، وتصمدي

هي طبيعة الأشياء والموجودات

الصوت الآمـــر يقهقه ، يهـــزأ . يصخب في وديان الصمت .

تهب واقفة . تفيق . أغنيات الليل زائفة . الثـــوب المغزول يشع ضوءا خافتا . تفرح . تضمه في حنـــان ، فإذا بالثوب يشخص قبالتها ، رجلا شهما عريض المنكبين .

أهـــلا حبيبي

حللت ســـهلا

ونعمت مقامـــا

كان ومضة أمل ، كالبرق الخاطف . وإذا بها تواجه

جبروت الليل الحالك ، وحيدة ترتجف . وفي يدها تكوم الثوب المغزول . ترتق ما تهتك منه .

خفق قلبها فجأة . تراءت قبالتها حمامتان بيضاوان. عجبت . أمن جوف الليل تأتي الحمامات البيضاء ؟ كان سرابا . وظلت واقفة متحفزة .

تتطلع إلى جهة الغيب . علها تعانق حبيبها المسافر. هي لم تره ، لكنها تحبه !. رسمت صورته في قلبها بخيوط حريرية . لونت شفتيه بقبلات الحب السكرى . كحلت عينيه بأشواقها المعربدة . ضمخت إهابه بأنفاسها الحرى. شكلت قسماته بأناملها الدقيقة الحانية . حتما سيعود . هو قبس من النور القدسي وعليها أن تتحمل ، وتنتظر...

الليل العملاق ، المارد ، يضيق الخناق حولها . يقيد الجسد . لكن شيئا سرمديا يعربد داخلها ، هازئا ساخرا من مقدرات الأيام . يعزف في غربته سيمفونية حالمة شجية النغمات .

تتوق إلى النور . تدعو . تستصرخ السماء وتغسل الدموع وجهها النوراني .

الصوت الآمر أعيته الحيل . ما كان يظن أنه سينهزم. غازل المرأة وأغواها . أسكنها صاحب الضوء في قصر منيف ، وبدل حالها من شظف العيش إلى النعيم . المرأة شاردة ذاهلة . الصوت الآمر يصرخ : يا امرأة ...

تتطاول إلى عنان السماء . قَصّ الشعر ، لكن أنفها لم يجدع .

يا أنت ، يا ظالم ..

ما عدت آبه بصرخاتك ..

ولست عابئة بأوامرك ..

الصوت الآمر يخنق خفقات الضوء المتسللة في خلسة من شقوق ضيقة بالقصر المحاصر .

ترقص هي في ردهات القصر رقصة الخلاص . تتطلع إلى النور ، ولاتزال ممسكة بالثوب المغزول . حين يأتي، سألبسه الثوب . سيغدو فتى يافعا بهيا .

أيها الحبيب ، أقدم ..

تعـال ..

من جوف الليالي الحالكات ..

تعـال ..

هاك ثوبي ، عفافي ، عذريتي ..

فتعال . أقدم ..

لم تزل ترقص رقصة الخلاص ، تواقة إلى النـور . يتراءى لها القصـر معبدا وثنيـا . ستحل عليـه اللعنة ؛ وتتقوض أركانه ، يصير حطاما زائلا ، ثم يأتي الضوء .. ومن سناه يشرق النور الحبيب .

تظـل ترقص . للنـور ترقص . للحبيب ترقص . ويتلاشى القصر كالغيم . تعاني ألمـا بالغا . تصرخ بكل ما لديها من قـوة . تصرخ وتستصرخ . تتلوى . تكابد آلاما مبرحـة . لكنها تظل ترقص للغـد الآتي ، وللفجر الطالع ، وللنور ...

تتمطى . ويتقهقر الليل مهزومـا . تسـجد . تركع . تدعو . تستغفر . تستعنن . تسـتدني الضـوء الأبدي .

تفك القيــد من اليدين والقدمين ، تقيل عثــرة اللسان .
يستطيل الشعر الهفهاف . ويغمر الضــوء جسدها كله .
وتتراقص ذراعاها في الضوء الساطع . تغتسل . تتطهر .
ولم يزل الثوب المغزول في قبضتي يديها . ويهتف الفؤاد:

في موكب الضياء .. أقدم حبيبي ..

تزهو بالنور . تعب منه أقباسا في راحتيها ، وتصبه على جسدها الأملس الناعم . قـد تقهقر الصوت الآمر ، تحشرج ، ومات صداه ، ثم تلاشى .

وفي غمرة الفرح ، شيء دفين يتمرد عليهــا . تود أن تسبر أغوار الضوء القادم .

أتاها الحبيب ، فتطلعت إليــه عيناهــا المشتاقتان . احتوته بين ذراعيها . ودت لو تغيب في غيبوبة مع نشوة اللقاء . ودت لو تفني نفسها فيــه ! ودت لو تغوص في قلب الأشياء . آه ، أيتها الأقدار ... تنهدت .. آه لــو ألمس قلب الأشياء !.

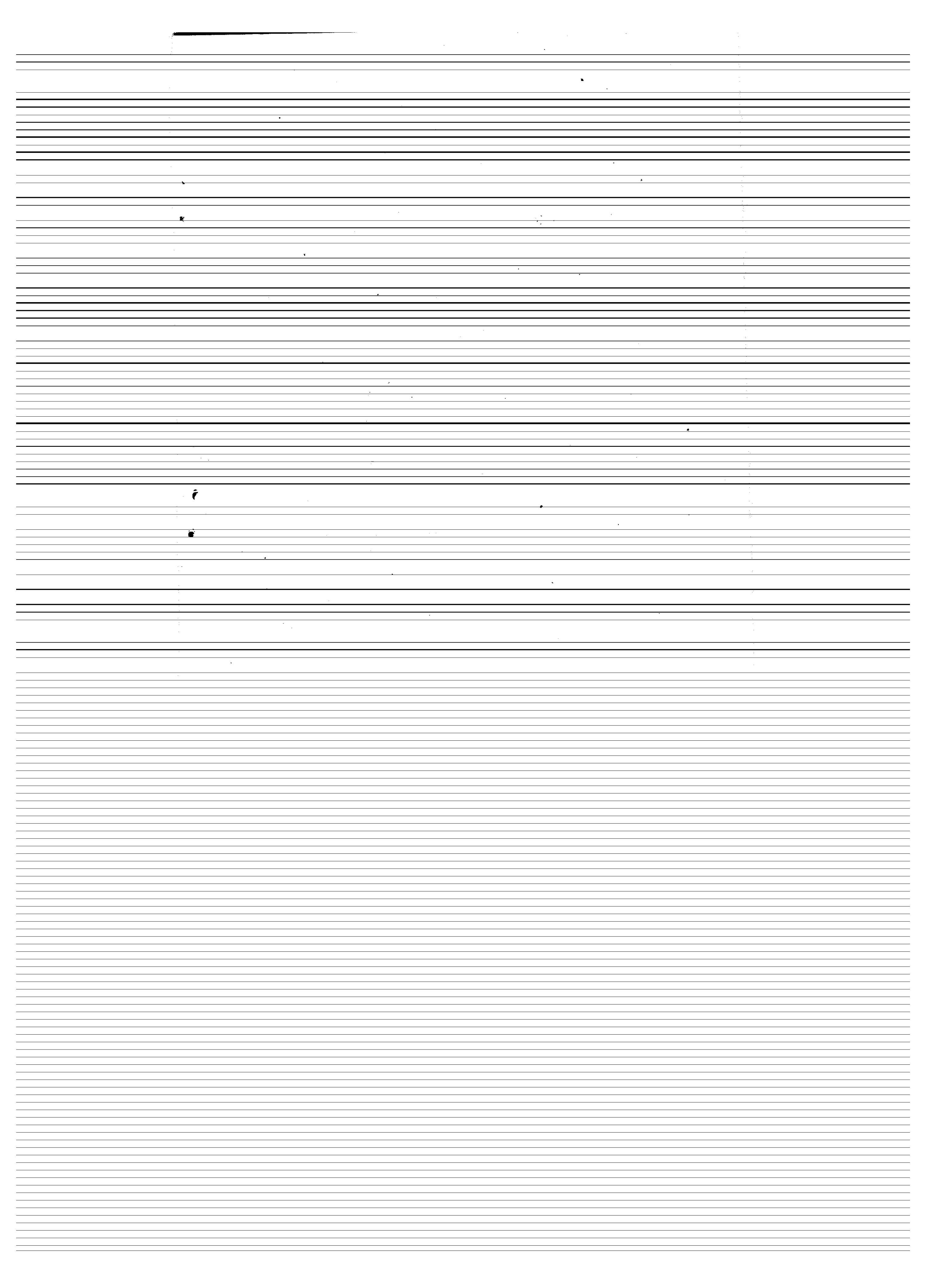
وكان الحبيب يئن من هول ما لاقاه في غربته ..!

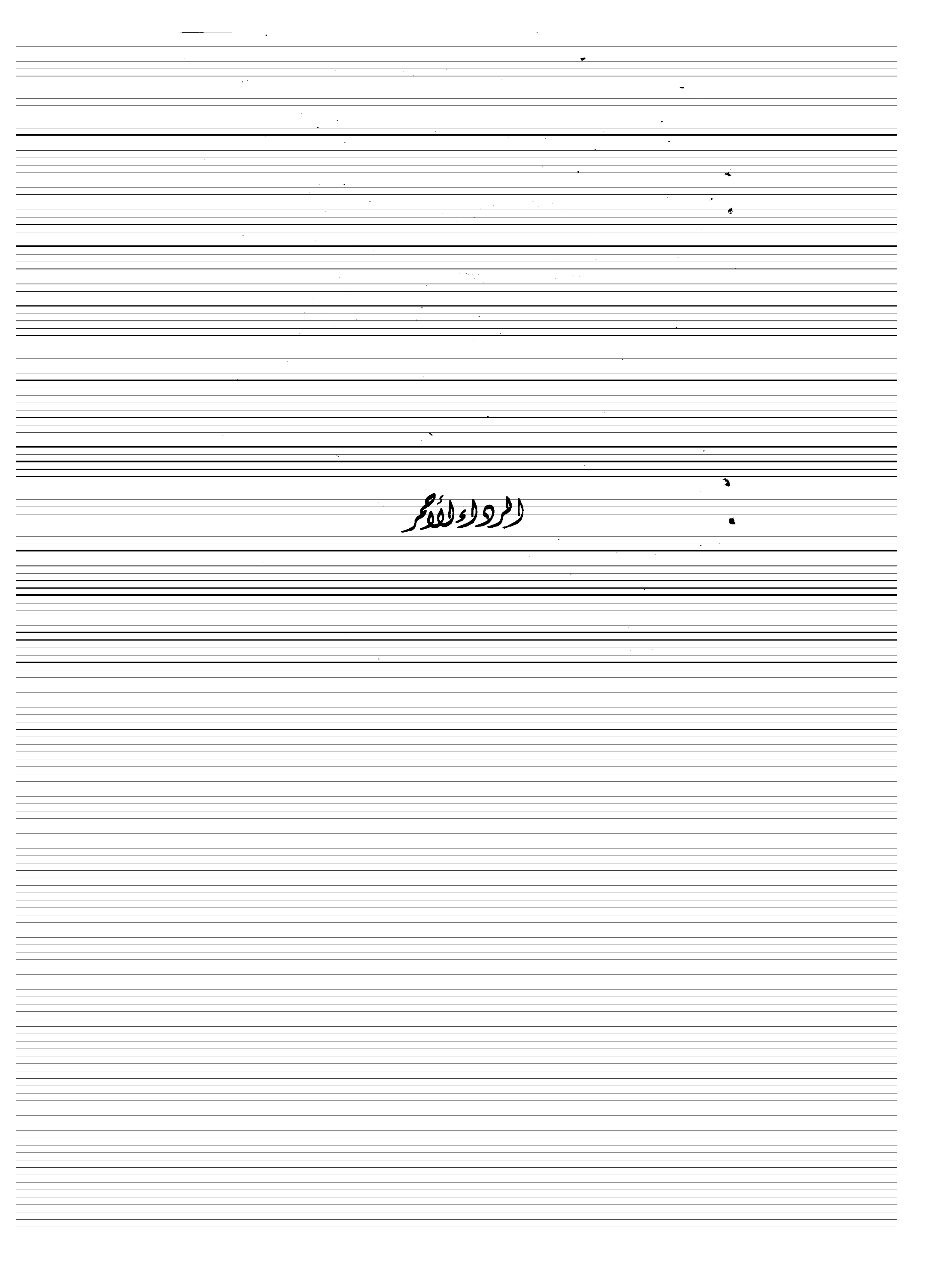
وصوته الضعيف الواهن ، لا تكاد تسمعه ..

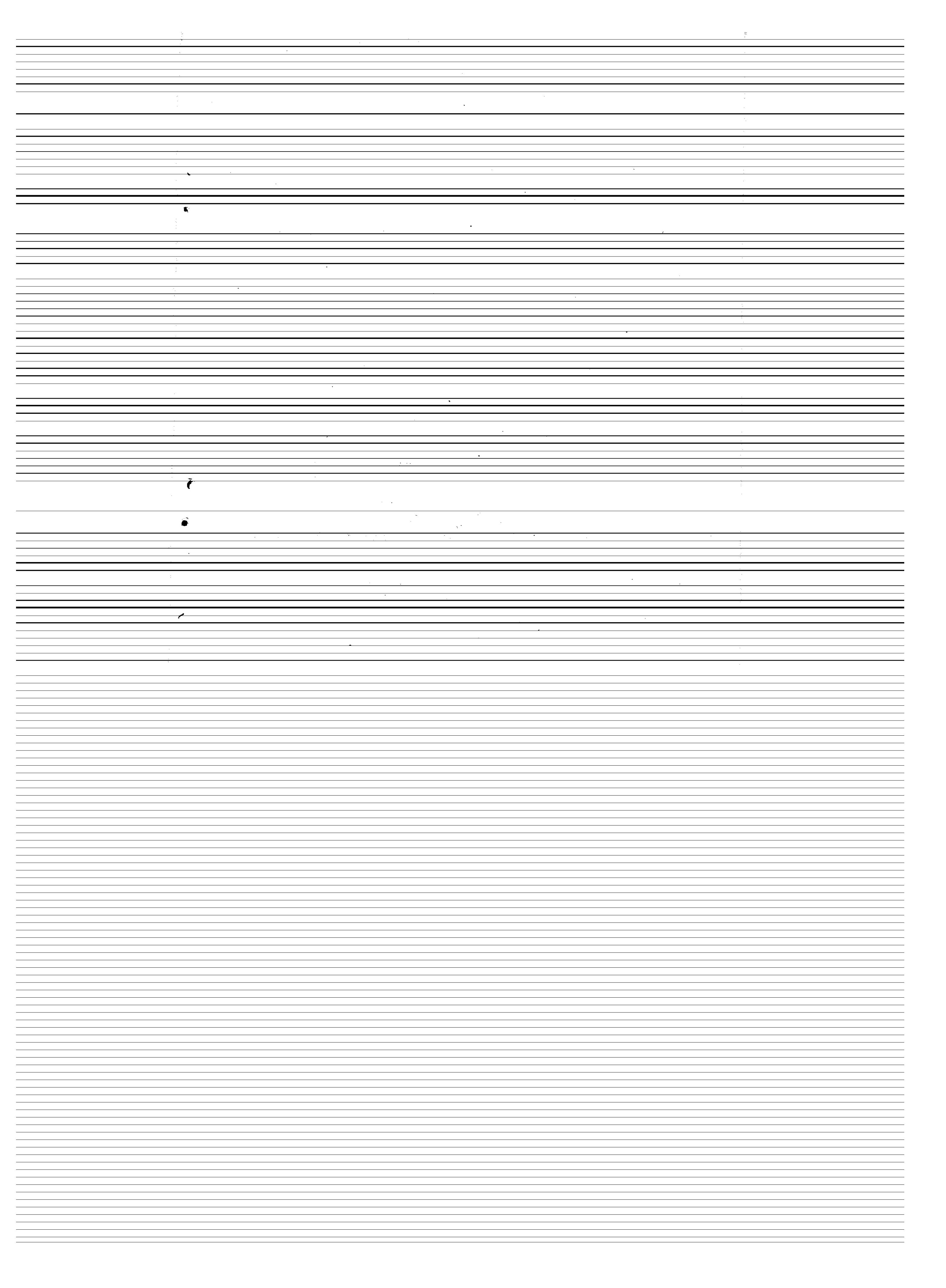
« رحلة العمــر قضيتها في عناء ومشقات ، وأوشك
نهاري أن يغيب ! » .

ابريل ١٩٧٧

★ ★ ★




الرداء الأحمر



الرداء الأحمر

منذ تربع السلطان على العرش ، وهو يخشى الموت. تولى زمام الحكم بعد مقتل أبيه . في البداية ، أطاح بما ينيف على ألف رأس انتقاما .. وانتقى أحد المقربين حارسا له .. لكنه لا ينام الليل ، ولا يأمن النهار . السيف البتار لا يفارقه . الصورة البشعة ماثلة قبالته ، صورة أبيه راقدا في بحيرة دم . يكتئب للمصير المرتقب . يتوقعه في كل لحظة . يحس أن وراء كل ساتر أو ستار ، يقف رجل متأهبا للانقضاض عليه . لهذا لازمه الحارس كظله .

ذات يوم ، قال الحارس :

ــ قبضت على رجل يدبر لقتلك ، فقتلته .

ـ أمتأكد أنت ؟

ـ كل التأكيد يا مولاي .. فقتلته قبل أن ...

وأحنى الرأس تحية الولاء .

تعاظم قلق السلطان . مازال الهاجس الداخلي يئن في شعاب نفسه ، يهتف في حشايا الفؤاد ، بأن ستلقى مصير أبيك .

أتاه الحارس في يوم تال :

ـ ما الرأي في رجل يخفي السلاح تحت ثيابه ؟

ـ اقتله .. قبل أن يقتلني .

قالها في عصبية ، وشفتاه ترتجفان . وتلون ثوبه ببقعة دم كبيرة .

أتاه في يوم ثالث يقول :

ـ سمعت رجلا يعيب في ذاتك المصونة .

ـ اقتله .. قبل أن يقتلني .

وامتدت يده طواعية إلى مكان سيفه ، كأنه يود أن يذهب هو للفتك به . وتلون ثوبه ببقعة دم ثانية .

أتاه في يوم آخر يقول :

ـ صادفت عشرة رجال مجتمعين .. يتهامسون .. حين اقتربت منهم صمتوا .. وظلوا صامتين .. يبدو أنهم يتآمرون ..

ـ اقتلهم .. قبل أن يقتلوني .

وامتدت بقع الدم إلى أماكن عديدة بثوب السلطان.

أتاه الحارس ذات يوم يقول :

ـ مشيت في الأسواق ، فكان الهدوء وكانت السكينة .. الأمن والنظام مستتبان ، ولا شيء يدعو للقلق . غير أني لمحت رجلا صارم الملامح ، غليظ الكفين، سريع الغضب . توجست منه ، فقبضت عليه ، وكدت أقتله .

ـ علام التردد ؟ اقتله ، قبل أن يقتلني .

الأحمر القاني يمتد لأجزاء أخرى من الثوب المزركش .

ثم أتاه الحارس يقول :

ـ حلمت حلما عجيبا ، مولاي السلطان . حلمت أن أحد العساكر يقتلك . تحدد في الحلم اسمه بالكامل ، فراجعت السجلات ، فإذا بواحد من العساكر له نفس الاسم ، فقبضت عليه .. و ..

ـ اقتله اذن ، قبل أن يقتلني .

ـ الحلم نبوءة لما هو آت .

رداء السلطان أحمر قان ..

السلطان الأحمر يتقلب على فراشه في جزع . السيف لا يفارقه . النوم لا يواتيه . وفي الصباح ، أتاه الحارس يطمئنه بأن الأمن مستتب ، وما من أحد يشك في نواياه . أضاف : ـ فلتطمئن .. مولاي السلطان ..

وتجاذبا أطراف الحديث . عينا الحارس لا تستقران

في موضـــع . تحدقان في أرجـــاء البهو ، تتفرسان ملامح الوجه ، تتأملان الرداء الأحمر .

عينا الحارس لا تستقران ..

تنتابه ثورة هوجاء . لماذا يصر السلطان على ارتداء الأحمر القاني ؟ ، يمتشق سيفا لا يفارقه .
عينا الحارس لا تهدآن ..

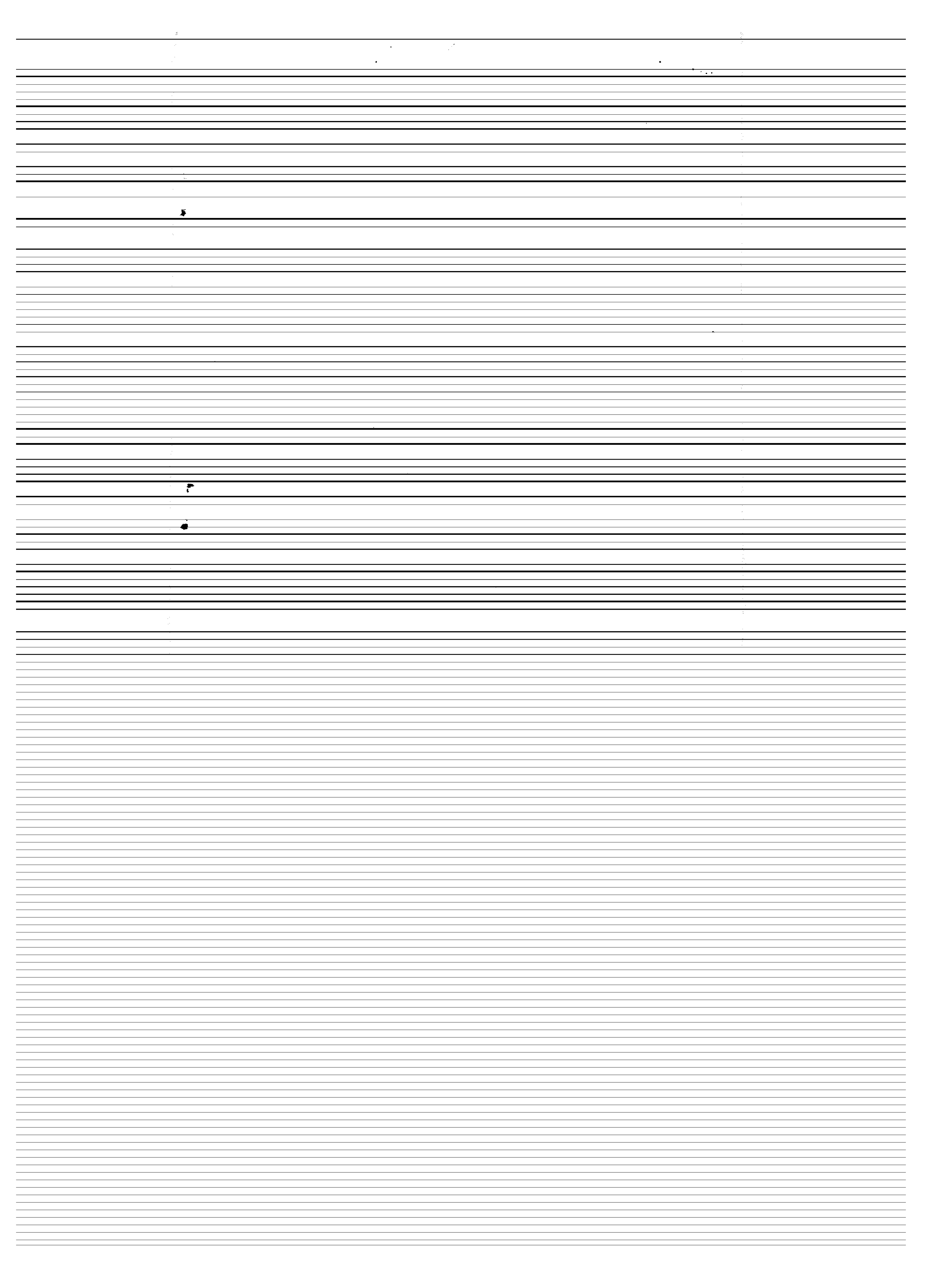
استل الحارس سيفه ، وأطاح برقبة السلطان .

ـ عذرا .. مولاي السلطان .. قد قتلتك ، قبـــل أن تقتلني .

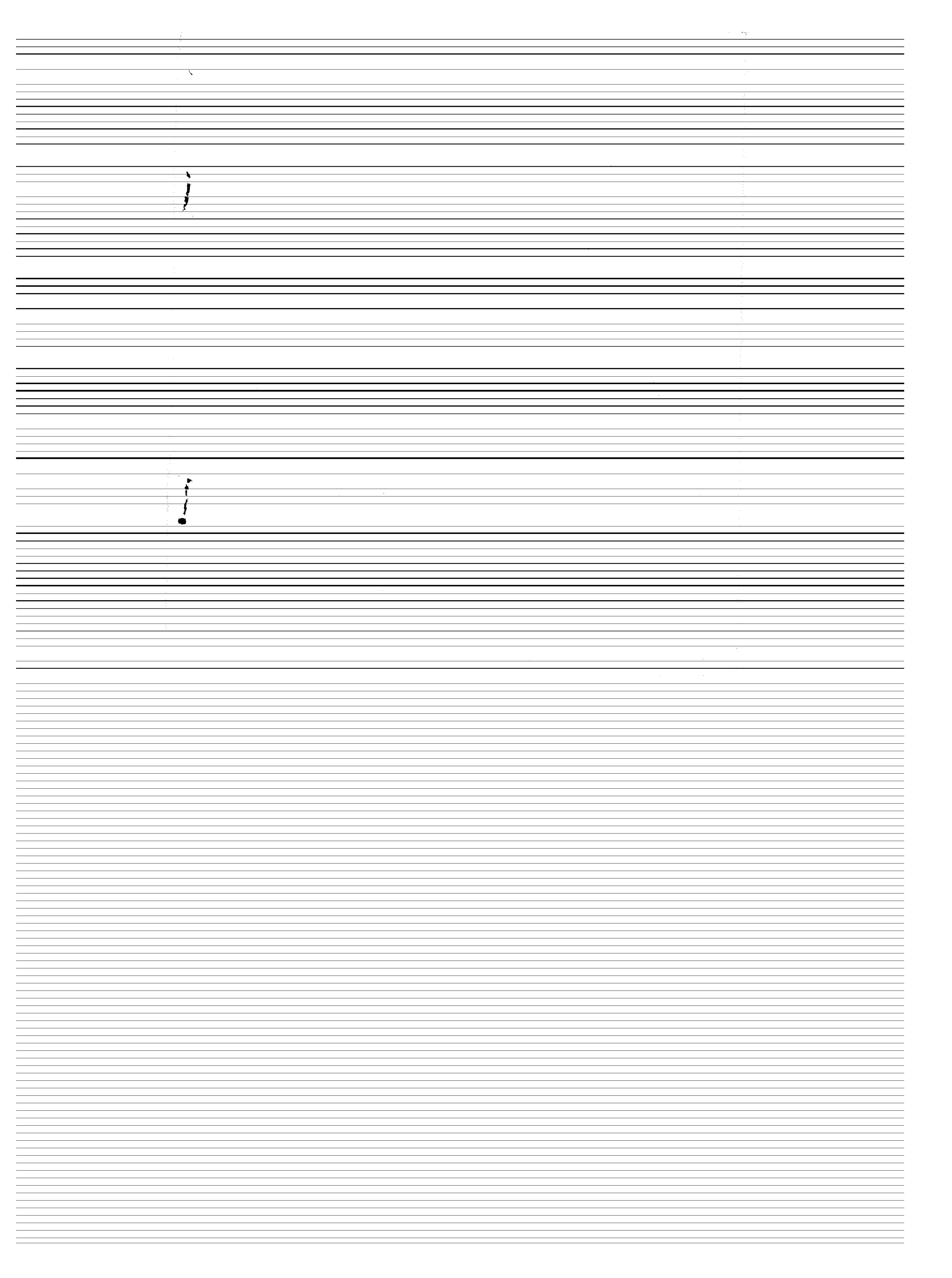
الثـــور الهائج ، يستثيره عرس الدم ، يستميله رداء السلطان !

يناير ١٩٨٣

★ ★ ★



الفهرس



صدر للمؤلف

- باقة حب : دراسة أدبية (بالاشتراك) (القاهرة) ١٩٧٧
- حياة جديدة : قصص - (طباعة ماستر) سلسلة (أصوات) لزقازيق ١٩٨١
- أحدثكم عن نفسي:قصص إتحادالكتاب العرب دمشق ١٩٨٥
- طائرات ورقية : قصص المجلس الأعلى للثقافةالقاهرة ١٩٩١
- سبعون ألف آشوري:قصص مترجمه لوليم ساروبات دار الصداقة بحلب ١٩٩٤
- ابن عمي ديكران : قصص مترجمة لوليم ساروبات دار الصداقة بحلب ١٩٩٤
- كلمات حب في الدفتر : قصص أتحاد الكتاب العربي دمشق ١٩٩٣
- الخفاجي .... شاعراً : دراسة أدبية - رابطة الأدب الحديث القاهرة ١٩٩٧

